الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم التسجيل: **171735093399**

الموضوع

اقتداء الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال العهد العثماني(1519-1830م)

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة:

- إيمان طاهري

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

- د/	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
- د/يمينة بن رحال	أستاذ محاضر"أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
- د/	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	عضوا

السنة الجامعية:1441-1442هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[سورة النمل، الآية:19]

نحمد الله سبحانه وتعالى على عظيم منه، وجزيل فضله، وأشكره شكرا كثيرا على ما منحه لي الصبر لإتمام هذا العمل المتواضع

كما أتقدم بخالص مشاعر الامتنان والتقدير للأساتذة المشرفة "يمينة بن رحال" التي كانت نعم المشرف والموجه، التي تفضلت بالإشراف على هذا العمل ولم تبخل علي بالنصح والتوجيه من أجل أن ينجز هذا العمل في أحسن صورة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بأسمى آيات الشكر لمكتبة البيان.

إلى كل من كانت له يد في إنجاز هذا العمل.

وإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان

الإهداء

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان، إلى بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من رافقني دعاؤها وكان سر نجاحي، إليك أمي الغالية

إلى من علمني الصبر والثبات، وكان مصدر عزمي وقوتي، إلى مثالي الأعلى وقدوتي في الحياة، إلى من أحمل اسمه بافتخار، إليك أبي العزيز، أطال الله في عمرهما وألبسهما ثوب الصحة والعافية

إلى رياحين حياتي: يوسف، خلود، محمد الأمين، شيماء، وأسامة، إلى جميع أفراد أسرتي، أجدادي رحمة الله عليهما، جدي الحاج سعيد، بابا شلالي، جدتي فاطمة وإلى جدتي حفصة أطال الله في عمرها، إلى كل أعمامي وعماتي وأبنائهما وأخص بالذكر حنان، نسيمة، ليلي، زينب وسميرة، إلى كل أخوالي وخالاتي كل باسمه

إلى صديقاتي: زبيدة، أمينة وخديجة ز.

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي

أهدي هذا العمل المتواضع....

إيمان طاهري

قائمة المختصرات والرموز

الرمز	المعنى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
ص	صفحة
مج	مجلد

مقدمة

شهد حوض البحر الأبيض المتوسط بداية مطلع القرن السادس عشر صراع إسلامي صليبي على خلفية حركة الاسترداد المسيحي، وقد لعبت إيالة الجزائر خلال العهد العثماني دورا هاما ومحوريا في حركة الجهاد ضد التحرشات الأوروبية، والتّي أطلقت عليها الدول الأوروبية مصطلح القرصنة، وترتب على حركة الجهاد كثرة الغنائم البحرية وتراكم عدد الأسرى المسيحيين في الجزائر، ونتيجة لذلك سعت الدول الأوروبية والمنظمات المسيحية جاهدة في تحرير وافتداء أسراها بمختلف الطرق والوسائل، ومن هنا تبرز قيمة موضوع هذه الدراسة التّي توضح لنا أوضاع الأسرى الأوروبيين، إضافة إلى إبراز الدور الذّي لعبه نشاط افتداء الأسرى في إثراء خزينة الدولة، كما تتمحور هذه الدراسة حول ما بذله الأوروبيون من جهود لتحرير أسراهم، وكذا التفاعل الذّي حدث بين الأسرى الأوروبيين وسكان الجزائر.

وقد اجتمعت جملة من الأسباب جعلتني اختار هذا الموضوع منها دوافع ذاتية وأخرى موضوعية والتّي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

- الميولات الشّخصية في دراسة موضوع الأسرى الذّي كان لي فيه تجربة أولية بحكم بحوثي الصفية حيث شد انتباهي، والرغبة في معرفة طرق تحريهم وافتدائهم.
- يكتسي الموضوع أهمية بالغة في تاريخ الجزائر الحديث حيث يحمل في ثناياه قيمة علمية عظيمة.
- تسليط الضوء على فئة دخيلة على المجتمع الجزائري التّي أثرت وتأثرت به، وتكذيب الادعاءات التّي نادت بفضاعة حياتهم في الجزائر، وإبراز الواقع الحقيقي لحياتهم.

وأسعى بالبحث في هذا الموضوع إلى محاولة الإجابة عن الإشكالية الرئيسية التّي تتمثل فيما يلي: كيف كانت تتم عملية افتداء الأسرى الأوروبيين في الجزائر خلال العهد العثماني؟

واندرجت تحت الإشكالية الرئيسية جملة من التساؤلات يمكن حصرها في النقاط التالية:

- ما هي ظروف عملية أسر الأوروبيين في الجزائر؟
- كيف كانت الحياة الاجتماعية التّي يعيشها الأسير في الجزائر؟
- كيف كانت تتم عملية افتداء الأسرى؟ وعلى أي أساس كانت تتم عملية افتدائهم؟
- ما هي طرق الفدية التّي اعتمدتها الدول الأوروبية في تحرير أسراها؟
- إلى أي مدى أثرت قضية افتداء الأسرى في العلاقات الجزائرية الأوروبية؟ وما هو مصير الأسرى بالذين لم يتم افتداؤهم؟

وللوقوف عند حيثيات الموضوع وانطلاقا من مادة البحث ووفقا للتساؤلات المطروحة، اقتضت الدراسة أن يعتمد هيكلها على: مقدمة وفصل تمهيدي وثلاث فصول وخاتمة وملاحق مهمة لإثراء البحث.

- المقدمة تناولت فيها التعريف بالموضوع وبينت أهميته ودواعي اختياره ثم طرحت الإشكالية وعرضت الخطة وذكرت أهم المصادر والمراجع الأكثر اعتمادا والمنهج المتبع، كما أشرت إلى الصعوبات التّي واجهتني خلال عملية البحث.

- وكان الفصل التمهيدي عبارة عن توطئة عن الموضوع، حيث عالجت فيه نشاط البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وجدلية نشاطها بين القرصنة والجهاد البحري، كما عالجت المظاهر والعوامل التّي ساهمت في تطوير البحرية الجزائرية خلال القرنين 16و17م.

- وفي الفصل الأول الذّي جاء بعنوان "الأسرى الأوروبيين في الجزائر وأوضاعهم فيها" والذّي تضمن التعريف بمصطلحي "الافتداء" و"الأسر"، وظروف تواجد الأسرى الأوربيين في الجزائر، كما قمت بوصف الحالة الاجتماعية التّي يعيشها الأسرى في الجزائر من حيث معاملتهم، أماكن إقامتهم، ووظائفهم التّي كانوا يقومون بها، إضافة إلى حالتهم الصحية.

- أما في الفصل الثاني الذّي جاء بعنوان "تنظيم عملية افتداء الأسرى الأوربيين" وتطرقت فيه إلى إجراءات ومراحل عملية افتداء الأسرى انطلاقا من عملية جمع الأموال في البلدان الأوروبية وصولا إلى تحرير الأسير ومغادرته الجزائر، وأشرنا إلى قيمة الفدية وأسعار الأسرى وتأثرهما بالظروف السياسية الداخلية والخارجية منها ونشاط الأسطول البحري، كما تطرقت إلى الصعوبات التّي واجهت عملية الافتداء التّي لم تكن سهلة منذ بدايتها، إضافة إلى الشروط المنصوص عليها في وثيقة الجواز الرسمية التّي بدونها يتعذر الوصول البر الجزائري.

- وفي الفصل الثالث الذّي جاء بعنوان "أساليب وطرق افتداء الأسرى الأوربيين" وعالجت فيه أهم الطرق التّي شاع استعمالها للافتداء في الجزائر، والتي كانت كرد فعل على علمية الأسر، وأبرزت الدور الذّي لعبته منظمات الفدية الدينية والمعاهدات إضافة إلى التجار واليهود والقناصل في تحرير اغلب الأسرى الأوربيين، كما تطرقنا إلى الافتداء الذاتي الذّي كان يتم بتوفير الأسير المبلغ الكافي لافتداء نفسه، ومن جهة أخرى عرضت تفاعل بعض الأسرى مع المجتمع الجزائري بعد اعتناقه الإسلام، وختمت البحث بمجموعة من الاستنتاجات لمجمل ما تناولته في فصول المذكرة متبوعة بملاحق لها صلة بالموضوع لإثرائه.

واتبعت في دراسة هذا البحث وفي مختلف فصوله ومباحثه على عدة مناهج أرى بأنّها مناسبة لطبيعة الموضوع، لذلك لابد من الاعتماد على المنهج التاريخي وهذا بالنظر إلى طبيعة الموضوع التاريخية، حيث أفادنا هذا الأخير في تتبع الأحداث وتسلسلها، كما اعتمدت على المنهج الوصفي، والذّي أفادنا في وصف الحياة الاجتماعية للأسرى، كما اعتمدت على المنهج التحليلي والإحصائي وذلك من تحليل المادة العلمية وتحليل المعاهدات وتقديم إحصائيات حول الافتداء وعدد الأسرى المفتدين.

ولقد تنوعت المادة العلمية التّي اعتمدتها في إنجاز هذا البحث بين مصادر ومراجع باللغتين العربيّة والأجنبية، إضافة إلى الدوريات ومذكرات أو رسائل تخرج الدكتوراه والماجستير، ومن المصادر المهمة التّي اعتمدتها:

- مذكرات أسير الداي كاثكارث قنصل أمريكا في المغرب.
- مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر لسيمون بفايفر.
- رحلة ج أو هابنسترايت إلى تونس والجزائر وطرابلس.

وقد توفرت هذه المصادر على معلومات قيمة وثمينة عن صورة الجزائر، وقد أفادتني في وصف حياة الأسرى ومعرفة أماكن إقامتهم وأعمالهم، معاملتهم... الخ.

أمّا المراجع المستخدمة في إنجاز هذا البحث نذكر منها:

- الجزائر وأوروبا لجون-ب- وولف والذّي أفادني في المعاهدات الجزائرية الأوروبية وعن وضعية الأسرى في الجزائر.
- الأسرى الأمريكان لجيمس ستيفن ويلسن.

كما استعنت بمجموعة من الأطروحات أهمها:

- أطروحة الدكتوراه لبلقاسم قرباش: الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات 1671-1830، والتّي استفدت منها في معرفة الكيفيات التّي كان يتم بها افتداء الأسرى.
- مذكرة حفيظة خشمون: مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية لمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، والتّي قدمت لنا معلومات قيمة حول طرق الفدية وأهمها ودور المنظمات الدينية في تحرير الأسرى.

وكل باحث تواجهه عراقيل وتصادفه مشاكل عديدة تختلف طبيعتها حسب طبيعة الموضوع المدروس، ومن الصعوبات التّي واجهتني:

- طبيعة المصادر المتعلقة بموضوعي، حيث أنّ أغلبها باللغات الأجنبية، وصعوبة الترجمة.

- ضيق الوقت لإعداد هذه المذكرة لأنّ البحث العلمي يتطلب وقتا كافيا للإحاطة بالمادة الخبرية واستخلاص الفكرة العلمية التّي يتطلبها موضوع البحث.

- التباين في المادة العلمية التاريخية حيث نجد في فصول البحث مادة خبرية غزيرة، حتى تسبب لي بمشكل في تحليلها وتفكيكها في حدود ما تقتضيه الدراسة، لكن هناك العكس في بعض فصول الدراسة ومباحثها.

فرغم هذه الصعوبات إلا أنني تمكنت من تجاوزها بمعية الله سبحانه وتعالى، وأتمنى أن يكون هذا البحث إضافة قيمة للمكتبة حتى يستفيد منه طلاب العلم مستقبلا.

الفصل التمهيدي

البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن النشاط البحري الجزائري

أولا: ظروف وعوامل نشأة الأسطول الجزائري وتطوره

ثانيا: النشاط البحري بين القرصنة والجهاد البحري

المبحث الثاني: قوة البحرية الجزائرية

أولا: عوامل قوة البحرية الجزائرية

ثانيا: مظاهر قوة البحرية الجزائرية

عرف النشاط البحري منذ العصور القديمة وعملت به العديد من الدول الأوروبية في مجالات عديدة، غير أنّ البحرية الجزائرية ذاع صيتها في هذا المجال، حيث برز نشاطا بقوة أثناء انضوائها تحت لواء الخلافة العثمانية، وقد ركزت أغلب الدراسات الأوروبية على ربط قوة الايالة ونشاطها بالقرصنة، واتسمت البحرية الجزائرية في بدايات نشاطها بالبعد الديني خاصة وأنّها ولدت في ظل الصراع الديني ولكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين الخلافة العثمانية والإمبراطورية الإسبانية، تميزت الحروب البحرية بين دول حوض المتوسط بالطابع الاقتصادي، من خلال الثورة التّي غذّتها تجارة الرقيق والأسر والاستيلاء على السفن المحملة بالذهب والفضة ومختلف السلع والغنائم البحرية.

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن النشاط البحري الجزائري

جذبت الأوضاع الداخلية والضعف السياسي والعسكري للمغرب الأوسط الاحتلال الإسباني الذّي احتل المدن الساحلية لها، ما دفع بالجزائريين إلى طلب النجدة من الإخوة بربروس لتخليصهم من العدوان الصليبي، حيث لبوا النداء وكان لهم دور فعال في قلب موازين القوى في الحوض الغربي للبحر المتوسط، مهد خير الدن إلى عهد جديد للبحرية الجزائرية، ويعتبر القرنين 16م و17م القرنان الذهبيان للأسطول البحري، والذّي أطاح بأقوى الأساطيل الأوروبية.

أولا- ظروف وعوامل نشأة الأسطول الجزائري وتطوره:

تكونت النواة الأولى للبحرية الجزائرية من الذين جاء بهم الإخوة بربروس من بحارة وسفن من المشرق بعد أن أقام الإخوة سلطتهم في الجزائر[1]، وخاصة بعد تحطيم حصن البنيون.

كما كان للأندلسيين دورا رئيسيا في زيادة نشاط البحرية الجزائرية وصناعة السفن الشراعية الكبيرة، وهذا راجع إلى خبرتهم ومعرفتهم بالملاحة وفنونها والماهرين في صناعة السفن، إضافة إلى انضمام الأعلاج[2] إلى البحرية الجزائرية، الذين جلبوا معهم مهارات الفنيين الأوروبيين، قاموا بإدخال تقنيات حديثة ومتطورة في الملاحة، كما نقلوا مهاراتهم الفنية والتكنولوجية في صناعة السفن[3]، وهذا ما أشار إليه القنصل الأمريكي

---

[1] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط3، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، 321.

[2] **الأعلاج**: مصطلح أطلق على المسيحيين الأوروبيين الذين تخلوا عن الدين المسيحي واعتنقوا الدين الإسلامي، وأطلقوا على الذكور الذين اعتنقوا الإسلام لفظ علج بعد اسم العلم مثل "العلج علي"، أمّا عند الأوروبيون عرفوا بالمرتدين؛ ينظر: محمد بستي، "الأعلاج واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية 1588-1699م"، مجلة جسور المعرفة، جامعة الجيلالي بونعامة، مج06، ع1، 2020، ص611-612.

[3] هبة كنيوة- رضوان شافو، "مساهمة البحرية الجزائرية في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر 17م"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمه لخضر، الوادي، مج12، ع2، 2021، ص331.

وليام شالر في قوله: "مقدرة الجزائريين على تجهيز الأساطيل وتسليحها للقتال لا تفوقها مقدرة أي شعب آخر في العالم".[1]

وخلال القرن 16 إلى القرن 17م تمكن الأسطول الجزائري من حماية مهاجري الأندلس من القراصنة المسيحيين، والتصدي للغارات البحرية التّي شنتها الدول الأوروبية، وتحرير المدن التّي احتلها الإسبان، إضافة إلى اشتراكها مع البحرية العثمانية لصد غزوات التحالفات الأوروبية الصليبية وحماية تجارتها المحلية، وإغناء الخزينة بعائدات مالية جاءت من الغنائم البحرية[2]، وبلغ النشاط البحري ذروته مع حلول النّصف الثاني من القرن السابع عشروأطلقعليهالعهدالذهبيوفي المقابل ضعفت الأساطيل الأوروبية.[3]

أصبحت الجزائر تملك أسطولا لا يستهان به في الحوض الغربي للبحر المتوسط، بعد أن قاموا بتنمية وتطور هذه النواة من الناحية المادية والبشرية، وقد أكد المؤرخون أنّه منظما أحسن تنظيم، وكان له نظام محكم[4]، وذلك من خلال إعطائهم أهمية كبرى لسفنهم، حيث عملوا باستمرار على تطويرها وتنظيمها، واعتمدوا في معظم حروبهم على الكادرغات، ففي سنة 1580 بلغ عدد السفن 35قادرغة و25 فرقطة[5]، إضافة إلى عدد من

---

[1] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 182، ص62.

[2] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص77.

[3] صالح عباد، المرجع السابق، ص321.

[4] **الكادرغة**: من السفن الشراعية الحربية، كانت تستعمل قبل اكتشاف السفن البخارية، تشتمل على 25 مقعد، تمتاز بطولها وخفتها، يتكون طاقمها من 35 بحارا و196 جذافا؛ ينظر: مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010، ص50.

[5] **فرقطة**: من أكبر سفن الأسطول العثماني الشراعية ذات المجاذيف ونظرا لسرعتها الفائقة فكانت تقوم مقام الشرطة المتنقلة في العمل والتنسيق، وذلك في حال عدم وجودها في الأسطول. ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، س3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص136.

السفن الأخرى المسلحة بأسلحة متنوعة[1]، وكانت دار صناعة السفن في الجزائر تتلقى كميات مهمة من الخشب وجميع المواد الضرورية لبناء السفن وتسليحها، وأحواض السفن الجزائرية كاملة التجهيز لإصلاح السفن الحربية بجميع أنواعها وأحجامها.[2]

كان النشاط البحري الجزائري منظما وله هياكل ومؤسسات التّي أضفت عليه طابع العملية الحكومية، وأنشأت هيئات حكومية قيادية جددة في البحرية، وأهم هذه الهيئات نجد: ديوان الرياس، إضافة إلى طائفة الرياس[3]، ومهاراتهم وقدراتهم البحرية القتالية العالية، حيث كانوا أهم فرقة عسكرية في الجيش الجزائري، وبفضلهم بلغت البحرية الجزائرية أوج قوتها إلى درجة أنّ الدول أصبحت تخشى الجزائر، وتسعى لإقامة علاقات تعاون معها.

انحصر نشاط البحرية الجزائرية في عمليات الجهاد البحري في ظل الصراع الديني، ولكن في نهاية المطاف تطورت البحرية وطبعت بالطابع الاقتصادي، وغدت تتمحور حول الغنائم الجديدة والثمينة، وأضحت حلقة أساسية في الحركة التجارية العالمية، إذ بدأ نشاطها يغذي المبادلات التجارية في حوض البحر المتوسط وحتى بين ضفتي المحيط الأطلسي، الذّي كان يعتمد على صرف السلع المحتكرة وبيع الأسر. [4]

وتطورت أهداف البحرية الجزائرية نتيجة تطورات سياسية، اقتصادية، واجتماعية، ويمكن القول أنّها مرت بمرحلتين:

---

(1) عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربيّة، لبنان، 1989، ص149.

(2) وليام شالر، المصدر السابق، ص62.

(3) محمد بن سعيدان، التطورات السياسية والاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرن 11ه/17م، أطروحة دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي أليابس بسيدي بلعباس، 20182019/، ص128.

(4) إسحاق زيتوني حمزة، "تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، ع9، 2018، ص123-124.

أ- مرحلة الجهاد البحري:

اتسمت البحرية الجزائرية غداة تأسيس الدولة الجزائرية عام 1519بالطابع الجهادي، موجهة لضرب البحريات الأوروبية الصليبية ولإنقاذ المسلمين الأندلسيين، وكان البحارة ينشطون بدافع ديني يدفعهم للهجوم على المسيحيين، ولذلك فإنّ النشاط الذّي مارسته البحرية خلال القرن 16م عبارة عن جهاد بحري وامتداد للحروب الصليبية (حرب الرمادات)، وتم فيها تحرير السواحل، إقامة غارات على السواحل الأوروبية.

ب- مرحلة الغزو البحري (حرب المغامرات):

امتد نشاط البحرية في البحر المتوسط كله، وامتد إلى سواحل أوروبا الشمالية والبرازيل وإيسلندا والأراضي الجديدة، ففي الفترة ما بين 1621-1627م كان في الجزائر 25 ألف أسير من مختلف المناطق، واعتبرالقرن17مالعصرالذهبي للبحرية الجزائرية.[1]

من أبرز النشاطات الاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرن 16م، 17م ما كانت تدره من ثروات عبر تجارة المفاهيم والرقيق، وكان القراصنة ينشطون بطريقة قانونية معروفون ومدفوعون من طرف حكوماتهم، إذ كانوا يحصلون على تصريحات مكتوبة قانونية والتّي تسمح لهم بمجابهة السفن التجارية للدول الأعداء[2]، وحققت القرصنة في الجزائر ما يتراوح بين اثنين إلى ثلاثة مليون جنيه، وقامت بحجز 80 باخرة وأسر 1331 لفرنسا وحدها، وذلك في الفترة الممتدة بين 1630-1634م، إذ بلغت عائداتها أكثر من خمسة ملايين جنيه. [3]

ولقد شكلت القرصنة ظاهرة عالمية أدت إلى ولادة مؤسسات لاسترجاع الأسرى منها وافتدائهم، وعملية تبادل الأسرى والسلع، وغيرت من جغرافية الأسواق والتجارة وولدت روابط واتصالات ووسطاء[4]، ووقفت وراء دفع الاقتصاد حيث تذهب الأرباح

---

[1] محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، مدرسة تاريخ شمال إفريقية الحديث، جامعة دمشق، 1969، ص92.

[2] محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص123.

[3] العربي إيشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، تر: جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص72.

[4] محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص127.

الكبيرة الناجمة عن القرصنة، وتدفق أموال الفديات في النهاية إلى تمويل تجهيزات مدن القرصنة ويصب الباقي في خزينة الدولة. [1]

ومع نهاية القرن 17م بدأ نشاط البحرية يقل ويتراجع وخاصة بعد ظهور الأساطيل الأوروبية، وبحلول القرن 18م ونهايته عرفت الإيالة الجزائرية تراجعا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما أدى إلى اتساع الهجمات الأوروبية على السواحل الجزائرية، للقضاء على البحرية وإضعاف قوتها، وقد ذكرت الكتابات التاريخية بأنّ المدن الساحلية تعرضت إلى عشرة هجمات أضرت كثيرا بالبحرية الجزائرية، ورغم ذلك شهد نشاط البحرية نوعا من الانتعاش في الخمسة سنوات الأخيرة من القرن 18م بسبب الأوضاع الاجتماعية التّي عاشتها أوروبا، حيث انتشر الفقر وازدادت حدة الإقطاع وفساد الأنظمة السياسية، وقد انتعشت البحرية في فترة الثورة الفرنسية 1789، لكن سرعان ما زال هذا الانتعاش مع حلول القرن 19م[2]، وعملت الدول الأوروبية من أجل القضاء على النشاط البحري الجزائري وذلك من خلال المؤتمرات التّي عقدتها كمؤتمر فينا 1815.

ثانيا- النشاط البحري بين القرصنة والجهاد البحري:

كانت القرصنة البحرة ممارسة معروفة يتعاطاها المسلمون والمسيحيون ولا يوجد ما يثبت احتكار المسلمين لنشاط القرصنة في البحر المتوسط، فهذا النوع من النشاط قديم قدم التاريخ.[3]

شكلت القرصنة (الغزو البحري) أو ما كان يسميه الأوروبيون تحاملا بلصوصية البحر، أبرز النشاطات الاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، بما كانت تدره من ثروات عبر تجارة المغانم والرقيق. [4]

---

(1) العربي إيشبودان، المرجع السابق، ص73.

(2) محمد بن جبور، "البحرية الجزائرية أواخر العهد العثماني"، مجلة عصور، جامعة مصطفى إصطنبولي بمعسكر، ع12، 15/14/13، 2009/2008، ص123-124.

(3) العربي إيشبودان، المرجع السابق، ص70.

(4) أمين محرز، الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص202.

تباينت الآراء حول النشاط البحري في الجزائر العثمانية بين المؤرخين الغربيين الذين اعتبروه عملا غير مشروع، وبين المؤرخين الشرقيين الذين عدوه جهادا بحريا ضد العدوان الأوروبي. [1]

وقد تعددت التسميات التّي أطلقها الأوروبيون على نشاط الأسطول البحري الجزائري، وتداخلت فيما بينها وجاءت كالتالي:

1- القرصنة Le Corsaire**:**

مقتبسة من اللغة الإيطالية أي corssro، وتعني في اللغة العربيّة لصوصية البحر وهم الذين يقومون بالنهب والسطو[2]، وقد عرفها أحمد توفيق المدني على أنّها نوع من أنواع الحروب البحرية التّي تقع بين الدول المتعادية، والتّي كانت الغاية منها ضرب اقتصاديات العدو، بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة إليه، وأسر من يعمل فوق ظهر تلك السفن المعادية، وأن لها قوانين ونظم وتقاليد معروفة. [3]

2- لصوصية البحر:

وهي عملية نهب في البحر بلا عقيدة ولا قانون، وهي مدانة عالميا من طرف القانون والأخلاق[4]، ومن سماتها عدم الوفاء لأي دولة فهدفهم تحقيق رغبتهم الشخصية، واستعمل في بداية القرن الرابع عشر إلى غاية القرن التاسع عشر ميلادي. [5]

3- القورصو:

تدوالت بين الأوروبيين والمسلمين، وهي شكل من أشكال العنف خاص بالبحر المتوسط، له خصائص تقربه من القرصنة ومن اللصوصية معا، لكنه سلوك متعارف

---

[1] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، 184.

[2] عبد القادر حامد- محمد علي نجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، 2001، ص713.

[3] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س، ص72.

[4] المنور المروش، دارسات عن الجزائر في العهد العثماني- القرصنة الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص08.

[5] إسحاق زيتوني، البحرية الجزائرية تأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية 1519-1830م، رسالة ماجستير، في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2011-2012، ص17.

عليه ومقبول من الطرفين، وكان باسم الحرب المقدسة، ومن النشاطات التّي تميز بعض الدول المتوسطية مثل مالطة والإيالات المغاربية خلال القرنين الأولين من العصور الحديثة.[1]

ما يلاحظ على هذه المصطلحات أنّها متداخلة فيما بينها، وتنصب في قالب واحد ألا وهو أنّ القرصنة عمل غير مشروع مهما صبغ بمفاهيم سياسية وعسكرية.

في حين اختلفت الوجهة التاريخية للمؤرخين المشارقة للنشاط البحري، حيث اعتبر مقاومة ضد العدوان وجهاد ضد إرادة التنصير والتمسيح، والدفاع عن الوطن والإخوة المسلمين في سبيل الله.

ظهر الجهاد البحري نتيجة كثرة الغارات والهجمات الأوروبية على المدن الساحلية، واعتبر النشاط البحري حربا مقدسة ضد المسيحيين، لتحرير العديد من القواعد الإسلامية من الاحتلال الإسباني. [2]

- تعريف الجهاد:

كان الجهاد في سبيل الله فرضا في سبيل الله فرضا، مصداقا لقوه تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُون**﴾[3]، وقوله أيضا سبحانه وتعالى: ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.[4]

تشن الحروب في الإسلام في سبيل الله والغرض الذّي يحارب المسلم من أجله هو غرض عادل ونبيل، والنصر في الإسلام هو انتصار قضية الإسلام. [5]

---

[1] المنور مروش، المرجع السابق، ص8-10.

[2] محمد بن سعيدات، المرجع السابق، ص118.

[3] سورة البقرة، الآية رقم216.

[4] سورة التوبة، الآية رقم41.

[5] يوسف عطاري محمد، "معاملة الأسرى في ضوء الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج8، ع1، 2012، ص172.

ومنه فإنّ البحرية الجزائرية عبارة عن عمل شرعي، وجاء كرد فعل قام به المسلمون ضد القراصنة المسيحيين الذين قاموا باحتلال الشواطئ الإسلامية.

وهذا ما أكدته المؤرخة كورين شوفاليه: "إنّ القرصنة حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب، حيث يتم تجهيز سفينة حربية وجوازات سفر وتعليمات، باعتبار أنّ لها قوانينها وأنظمتها، وهي ليست عملا خالصا إنما عم الدولة، وهي شكل من أشكال الجهاد البحري".[1]

[1] كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدنية الجزائر (1541/1510)، تر: حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص49.

المبحث الثاني: قوة البحرية الجزائرية

أسست الدولة الجزائرية الحديثة مع مستهل القرن 16م، لتكون دولة بحرية بالدرجة الأولى، فكان مفتاح عظمتها في عصر القرصنة يكمن في بحريتها، وقوة الدولة في هذا العصر كانت منبثقة من قوة بحريتها، فقد وصلت إلى أوج من أن تكون أكثر فعالية وقوة من مختلف البحريات الإسلامية، فماهي أسباب ومظاهر قوة البحرية الجزائرية؟

أولا- عوامل قوة البحرية الجزائرية:

لعب الأسطول البحري لإيالة الجزائر دورا هاما ومحوريا في البحر الأبيض التوسط بعد صد الغارات والحملات المسيحية، وتزايد نشاطه وتطوره وكثرة الغنائم البحرية، ويعود قوة هذا النشاط إلى عدة عوامل:

1- الموقع الاستراتيجي الهام للجزائر والمطل على البحر الأبيض المتوسط الذّي يحمل على الاشتغال في البحر[(1)]، وطبيعة سواحلها المفتوحة على أوروبا والمتحكمة في الحوض الغربي للبحر المتوسط على امتداد 1200 كلم.

2- الظروف الدولية الملائمة والمتمثلة في التنافس بين الدول الأوروبية، أي الرغبة في السيطرة على التجارة العالمية واكتساب أكبر عدد من المستعمرات ما أدى إلى حدوث صراعات وتوترات مثل: العداوة بين فرانسوا الأول ملك فرنسا والإمبراطور (شارل الخامس) عاهل إسبانيا وجرمانية، وكذلك التنافس الهولندي- الفرنسي- الإنجليزي فيما بعد.

3- السماح للبحارة الأوروبيين الراغبين في العمل بالبحرية الجزائرية بالانخراط فيها بشرط اعتناقهم الإسلام، وحصلوا على مكانة مرموقة وارتبطوا بالجزائر رغم اختلاف أصولهم وعرفوا باسم "الأعلاج".

(1) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2017، ص17.

4- الاستعداد النفسي والإيمان بحق الدفاع عن الدين الإسلامي بعد سقوط الأندلس، وحلول الإسبان بالسواحل الجزائرية. [1]

5- مهارة البحارة الجزائريين وكفاءتهم الحربية وقدرتهم القتالية العالية، التّي مكنتهم من تحقيق انتصارات حاسمة أمثال الأخوين بربروسة، علج علي، والرايس حميدو...[2]، ويقول حمدان خوجة عنهم أنّهم كانوا يحاربون بشجاعة وإقدام موقنين بأنّهم إنما يستشهدون في سبيل الدين[3]، إضافة إلى ما نقله لنا التامقروثي أثناء إقامته بالجزائر، حيث قال حول هؤلاء البحارة: "..ورياس الجزائر موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش.. ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم...". [4]

6- استخدام البحارة الجزائريين الأساليب الحربية الملائمة مثل الالتجاء إلى الغارات المفاجئة، واستعمال بنادق البارود السريعة الطلقات والمدافع الحقيقية في هجماتهم، وكذلك امتلاكهم السفن المتطورة القادرة على الإبحار في أعالي البحار، وتمكنهم من صناعة سفن أخرى صالحة للغارات البحرية المحدودة. [5]

7- الانتظام والتمويل في العمليات الحربية، حيث أصبحت الطريقة الجزائرية في الجهاد البحري والتنظيم مثلا يحتذى به في الدول الإسلامية وخاصة تونس وطرابلس[6]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية- دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص132-133.

[2] المرجع نفسه، ص133.

[3] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تق، تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص77.

[4] محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص122.

[5] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص133.

[6] محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص130.

ثانيا- مظاهر قوة البحرية الجزائرية:

من مظاهر قوة البحرية الجزائرية في العهد العثماني ما يلي:

1- الأسطول الجزائري:

يعتبر الأسطول ابحري مصدر العدوان الأوروبي والعمود الفقري لاقتصاد مدينة الجزائر[1]، عرف تطورا ملحوظا في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، ثم بدأ يضعف مع نهاية القرن السابع عشر، قبل أن يتلاشى نتيجة حملة اللورد إكسموث 1816، ويعاد تكوينه بصفة جزئية قبل الاحتلال الفرنسي.[2]

اعتمد العثمانيون في إسطنبول على الأسطول الجزائري من خلال اشتراكه في الحروب، واعتبرت الجزائر إيالة بحرية بقيت طيلة ثلاثة قرون حتى القرن التاسع عشر تزود الدولة العثمانية بأفضل بحارتها وأكبر قادة أساطيلها، وقد اتفقت مختلف الكتابات التاريخية الفرنسية أن البحرية الجزائرية قد بلغت أوجها من نهاية القرن 16م إلى منتصف القرن 17م، وقد مكنتها قوتها من نفوذها البحري والسياسي إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط من جهة، وأوروبا الغربية من جهة أخرى، وقد كان الأسطول يبحر من الجزائر إلى إيطاليا أو أيسلندا أو جزر الكناري.[3]

عرف الأسطول البحري تطورا من حيث التركيبة البشرية وعدد السفن، فمن حيث التركيبة البشرية فقد انضمت إليه مجموعة من البحارة من جنسيات مختلفة سموا الأعلاج إضافة إلى الأندلسيين، أمّا من ناحة السفن فقد شهد الأسطول الجزائري حركة كبيرة نتيجة الأعمال البحرية التّي خاضها، فمثلا في سنة 1530م ارتفع عدد السفن إلى 600 سفينة بحرية[4]، وهناك مصادر فرنسية قدرت لنا حجم القوات البحرية لإيالة الجزائر عام 1735م كالتالي: 7 سفن كبيرة، 56 مدفعا، 11 شبكا مسلحا، 6 سفن صغيرة و أكثر من 20

---

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص184.

(2) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص136.

(3) محمد بن جبور، المرجع السابق، ص119.

(4) وليام سبنسر، المرجع السابق، ص74-75.

زورقا، كما تجسدت قيمة البحرية الجزائرية وأهميتها في الميدان التجاري وفي الجمع بين بيع الأسرى وإعادة بيع السفن المحملة كمصدر أساسي للثروة، ومع حلول النصف الثاني من القرن السابع عشر اكتسى نشاط البحرية صيغة اقتصادية وسياسية، ومع نهاية هذا القرن وبحلول القرن الثامن عشر شهد الأسطول تراجعا ملحوظا وتلقى عدة هجمات أضرت به، وتراجع عدد البحارة والسفن الحربية[1]، وفي السنوات الأولى من القرن 19م، عرف نشاط البحارة الجزائريين فترة قصيرة من الازدهار بفضل بحارة مشهورين كالرايس حميدو وملائمة الظروف الدولية كاشتغال الدول الأوروبية بالحروب النابليونية، لكن حملة اللورد إكسموث1816 وضعت حدا لهذا الانتعاش الاقتصادي، حيث نتج عنها تحطيم أغلب السفن. [2]

2- الأسرى المسيحيون:

الذين وقعوا في الأسر وقد قدر عددهم بمدينة الجزائر وحدها بحوالي مليون نسمة طيلة القرن السابع عشر، أي ما يعادل ربع سكان المدينة، كان هؤلاء الأسرى موزعين بين مصالح البايلك وسكان المدينة، كان يتوجب على جلهم قضاء الليل في سجون البايلك وكان أغلب هؤلاء الأسرى يطلق سراحهم مقابل فدية معينة[3]، فقد عرفت عملية الفداء نشاطا واسعا لما اكتسبته من طابع اقتصادي وتجاري، فقد كانت تدر الأموال لخزينة الدولة والملاك على حد سواء[4]، وقد كان ينظر للأسرى آنذاك كمصدر دخل أكثر منه استغلال لذاتهم أو إنسانيتهم، وهو ما يثبت ضخامة الأموال التّي دفعت، فمثلا الدون

[1] محمد بن جبور، المرجع السابق، ص120-124.

[2] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص106-107.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص137.

[4] بوعلام صفاح- عبد القادر دوحة: "العائدات المالية لافتداء الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة عصور جديدة، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة، مج:11، ع:2، 2021، ص335.

"مارتن القرطبي" فقد دفع ماركيز كونيز لإطلاق سراحه حوالي ثلاثة وعشرون الف إيكو[1] ذهبية. [2]

وكان البعض الآخر من الأسرى يعتنق الإسلام، ومنهم من اندمج بالسكان وأصبح عنصرا فعالا في المجتمع مثل البايلر بايات الذين تولوا الحكم، وقد كان عدد الأسرى يختلف من سنة إلى أخرى[3]، وسمح التزايد الكبير لعدد الأسرى في الجزائر بأن يصبحوا عناصر فاعلة داخل المجتمع الجزائري في إطار علاقة تأثير وتأثر، كما شكل الأسرى مظهرا هاما من مظاهر الازدهار الاقتصادي، وذلك من خلا عوائد استغلال الأسرى في مختلف الأعمال وافتدائهم، فأموال الفداء تعود إلى خزينة الدولة، وحتى الذين لا يتم إطلاق سراحهم فيسجلون باسم عبيد البايلك ويؤجرون ومدخلهم بعضه لهم والآخر لخزينة الدولة، وفي كل الحالات فإنّ الدولة مستفيدة ماليا من هؤلاء الأسرى سواء حرروا أم لم يحرروا. [4]

3- الغنائم البحرية:

عد نشاط الأسطول البحري العمود الفقري لاقتصاد مدينة الجزائر، وذلك من خلال موارد الغزو البحري، وكذلك ملئ أسواق المدينة بالبضائع التّي يتم غنمها، حيث تعود رياس البحر على الخروج إلى البحر مرتين أو ثلاث مرات في السنة، وهذا ما جعل المدينة في حركة اقتصادية مستمرة. [5]

---

[1] إيكو: عملة فرنسية ذهبية وفضية، استعملت في القرن 17-18م.

[2] خديجة حالة، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700-1830)، مذكرة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية بأدرار، 2013/2012، ص97.

[3] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص137.

[4] خديجة حالة، المرجع السابق، ص98.

[5] صباح نوري- هادي العبيدي- توفيق دحماني، "إيالة الجزائر العثمانية بين موارد البحر والضرائب"، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، د.م، مج: 4، ع:10، 2017، ص129.

ازدادت الغنائم البحرية في الفترة الأولى للعهد العثماني، ثم أخذت تتناقص حتى كادت تتلاشى في القرن الثامن عشر[1]، بفعل قوة البحريات الأوروبية وفعالية سفنها أثرت على مكانة البحرية وتناقصت الغنائم، ونقص عدد السفن إلى أقل من عشرة[2]، ثم عرفت مع نهاية العهد العثماني نموا ملحوظا مع محاولة تطوير البحرية وزيادة نشاطها الحربي خاصة في فترة اشتغال أوروبا بحروب الثورة الفرنسية وفتحات نابليون، وقد ارتبط نشاط البحرية الجزائرية بجهود بحارة مشهورين في مقدمتهم الرايس حميدو (1790-1815م) [3]، وكان لرجال البحرية مكانة كبيرة في الجزائر، ذلك لأنّ مغانم البحرية كانت أهم مورد في البلاد[4]، هذا ويمكن أن نتعرف على تطور الغنائم البحرية التّي كانت تأخذ منها الدولة الخمس ويوزع الباقي على أصحاب السفن المساهمين في تجهيز الأسطول باستعراض عدد الغنائم حسب السنوات في الجدول التالي: [5]

السنوات	الغنائم البحرية
من 1628م إلى 1634م	تم الاستيلاء في الحرب ضد فرنسا على 80 سفينة، وأسر 1331 شخصا، مما جعل قيمة مجمل الغنائم ترتفع إلى حوالي 4752000 جنيه
1737م إلى 1799م	376 سفينة منها 16 سفينة برتغالية أرها الرايس حميدو عام 1797 بها 118 أسير، وفي سنة 1785 أسرت بعض السفن الجنوية والبندقية والنابوليانية قدرت غنائمها بـ75 مليون فرنك
من 1800م إلى 1802م	قدر عدد الغنائم بـ 575152 فرنكا، وتم الاستيلاء على 20 غنيمة وسفينة برتغالية مجهزة بـ 44 مدفعا.
من 1805م إلى 1825م	قدرت قيمة الغنائم بـ8 ملايين فرنك منها 1800 أسير و30 سفينة وفي 1825 أسر 8 سفن.
من 1817م إلى 1827م	ناهزت قيمة الغنائم 700000 فرنكا

(1) ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص129.

(2) صباح نوري هدي العبيدي- توفيق دحماني، المرجع السابق، ص129.

(3) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص139.

(4) محمد خير فارس، المرجع السابق، ص94.

(5) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص139- 140.

يتبين لنا من خلال الأرقام المقدمة في الجدول أنّ الغنائم البحرية لم تكن ثابتة، فكانت في تذبذب مستمر، فقد شهد خلال القرن 17 ذروته من الغنائم البحرية وانخفضت خلال القرن الثامن عشر، وعرفت خلال الحروب النابوليانية واشتغال أوربا نوعا من الانتعاش.

ويقول حمدان خوجة حول عملية توزيع الغنائم البحرية: "عندما تجلب الغنائم إلى مدينة الجزائر، تباع للسكان، وتوزع قيمتها حينا، على ذوي الحقوق، على أنّ هذا الخمس لم يكن تاما أبدا، لأنّ الأشياء الثمينة كانت تؤخذ قبل الاطلاع على الغنائم"[1]، وهذا يدل على أنّ مصادر البحرية لم يكن يدخل منها إلى خزينة الدولة إلا جزء قليل، إذ كانت كل الأطراف المشاركة في عملية جلب الغنائم تأخذ نصيبها، فهي تقسم على مجهزي المراكب والرياس والبحارة والداي وموظفي الميناء والحاملين وغيرهم.

4- الإتاوات والهدايا الإلزامية:

فرضت الدولة الجزائرية على الدول الأوروبية المتعاملة معها تجاريا إتاوات، مقابل السماح لها بحرية الملاحة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وإعطاء تجار تلك الدول امتيازات خاصة، منها تخفيضات معتبرة على الرسوم الجمركية. [2]

خلال القرن 17م اضطرت الدول الأوروبية بما فيها الدول الكبرى إلى دفع إتاوات وهدايا إلى حكومة الداي لتشتري بذلك أمن سفنها، ولكن العمليات البحرية الأوروبية النظامية بدأت تؤثر على الجزائر منذ أواخر القرن السابع عشر[3] وخلال القرن الثامن عشر ضعف الأسطول الجزائري واتضح ذلك من خلال امتناع بعض الدول الأوروبية عن دفع الإتاوات التّي تعودت على دفعها سنويا، عندما بدا لها ضعف الأسطول أو عندما قل عدد قطعه، والتّي كانت على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، التّي توقفت عن دفع

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص118.

[2] ناصر الدن سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص140.

[3] محمد خير الدين فارس، المرجع السابق، ص92.

الإتاوات سنة 1812م، ثم حذت حذوها بقية الدول الأوروبية، قبل أن تأتي الحملة الأنجلو- هولندية على الجزائر سنة 1816م. [1]

كانت الإتاوات تختلف حسب العلاقة التّي تربط تلك الدول بالجزائر، كما كان للظروف السائدة في تلك الفترة تأثير على تحديد مبالغ تلك الإتاوات، فمثلا كانت إسبانيا تساهم بما قيمته 48000ف سنة 1807م، وبعد وتوقيعها هدنة سنة 1785م وانسحابها من وهران ألزمت بدفع 18000ف، أما فرنسا فكانت تدفع قبل 1790م ما قيمته 37000 جنيه، وفي سنة 1816م ألزمت بدفع ما قيمته 200000ف. [2]

[1] صباح نوري هادي عبيدي- توفيق دحماني، المرجع السابق، ص131.

[2] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص140-141.

الفصل الأول

الأسرى الأوروبيون في الجزائر وأوضاعهم فيها

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن الأسرى في الجزائر

أولا: التعريف بمصطلحي: "افتداء،" "الأسر"

ثانيا: ظروف تواجد الأسرى الأوربيون في الجزائر

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوربيون بالجزائر

أولا: معاملة الأسرى الأوربيون وعقوباتهم

ثانيا: أماكن إقامة الأسرى الأوربيون وأعمالهم

ثالثا: الحالة الصحية للأسرى وألبستهم وطعامهم

شكل الأسرى ظاهرة بارزة في البحر المتوسط عامة خلال العهد العثماني، حيث مثلوا الأغلبية الساحقة بإيالة الجزائر على اختلاف أجناسهم، وكان مصدر هؤلاء الأسرى يرجع بشكل رئيسي إلى عمليات الجهاد البحري (القرصنة) وإلى العمليات الحربية، وهو الأمر الذّي جعل من الأسرى بأعداد كثيرة، وقد أثروا على مختلف جوانب الحياة بما فيها الجانب الاقتصادي الذّي عرف تطورا كبيرا، والجانب الاجتماعي لهم أثر على بنية المجتمع الجزائري، وسنعالج في هذا الفصل الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوربيين في الجزائر من حيث معاملتهم وأماكن إقامتهم... الخ، وقبل الشروع في معالجة موضوعنا علينا أن نحدد المسار المفاهيمي لمصطلحات العنوان بشطريها اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن الأسرى في الجزائر

افتداء الأسرى من المفردات التّي كثيرا ما نستعملها مرادفات، كالمفاداة، العبيد أو الرق، وكلها تدور حول شخص مسلوب الحرية ومحاولة تحريره، فما هو أصل الكلمتين في اللغة؟ وما معناهما اصطلاحا؟ وكيف كان الأوروبيون يقعون في الأسر من قبل البحارة الجزائريين؟

أولا: التعريف بمصطلحي: "افتداء،" "الأسر"

1- مفهوم الافتداء:

لغة:- افتدى، يفتدي، افتد، افتداءَ، فهو مفتدٍ والمفعول مفتدى. [1]

- فداه: فدى وفداء، استنقذه بالمال أو غيره فخلصه مما كان فيه، يقال فداه بماله، فداه بنفسه. [2]

- افتدى نفسه: فداها، خلصها مما كانت فيه، يقال" افتدى الأسير بماله".

- فادى الأسرى: أعطى فدية لإطلاقهم فيقال: "فادى الأعداء أسراهم عندنا"[3]،﴿**وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ**﴾.[4]

- اصطلاحا:

Rédenption معناها الخلاص والافتداء[5]، ويقصد بالفداء أو المفاداة تبادل الأسرى أو إطلاق سراحهم على عوض أي أنّ الكلمتين بمعنى واحد، وعن المبرد: المفاداة أن تدفع رجلا وتأخذ رجلا والفداء أن تشتريه[6]، تحريره بالمال.

والفداء صورتين:

---

[1] أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربيّة المعاصرة، مج:1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص1681.

[2] شوقي ضيف وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص677.

[3] أحمد مختار عمر وآخرون، المرجع السابق، ص1681-1682.

[4] سورة البقرة، الآية رقم 85.

[5] حفيظة حشمون، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير، التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، جامعة منتوري بقسنطينة، 2007/2006، ص31.

[6] وهبة الزحيلي، آثار الحرب دراسة فقهية مقارنة، ط5، دار الفكر، دمشق، 2013، ص714.

أ- الفداء مقابل المال: وهو أن يتم الاتفاق على مبلغ المال، يدفعه الأسير إذا كان معه، أو يدفعه قومه.

ب- مبادلة الأسرى: وذلك بفداء أسرى مسلمين بأسرى أعداء.[1]

2- مفهوم "الأسر":

لغة:- وهو الأخيذ والمقيد، والمسجون، وجمعها: أسراء، أسارى، وأسرى[2]، ويقال: أسره: قيده وأخذه أسيرا أي المأخوذ في الحرب. [3]

- مأخوذ من الأسار وهو القيد لأنّهم كانوا يشدونه بالقيد، فسمي كل أخيذ أسيرا وإن لم يشد به، وهي تدور حول معاني الحبس والقيد والسجن. [4]

- اصطلاحا:

تعود جذور كلمة أسير إلى اللغة اللاتينية (Capere) بمعنى يأخذ، وحسب القانون الدولي فهو الشخص الذّي يعتقل في الحرب "أسير حرب"[5]، وبمعنى آخر هم المقاتلون الأعداء ومن حكمهم ممن وقعوا في أيدي المسلمين أحياء. [6]

والمقصود بالأسرى في الشريعة الإسلامية: هم المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء، ويفرق الفقهاء في تعريف الأسرى بين الرجال والنساء، فإن كانوا رجالا سموا: أسرى، وإن كانوا نساء أو أطفالا سموا: سبايا. [7]

---

[1] حسن شرفة، "هدي النبي (ث) في التعامل مع الأسرى"، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عباس لغرور بخنشلة ع8، ج1، 2017، ص90.

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005، ص343.

[3] شوقي ضيف وآخرون، المرجع السابق، ص17.

[4] حسين شرفة، المرجع السابق، ص76.

[5] بلقاسم قرباش الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1611-1830م)، أطروحة دكتوراه، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى اصطنبولي بمعسكر، 2016/2015، ص50.

[6] أمين محرز، المرجع السابق، ص161.

[7] يوسف محمد عطاري، المرجع السابق، ص172.

ثانيا- ظروف تواجد الأسرى الأوربيون في الجزائر:

كانت عمليات الأسر خلال الفترة الحديثة موجهة في الغالب ضد أصحاب البشرة البيضاء- الرقيق الأبيض، وهو الأمر الذّي يبرر الصراع المسيحي الإسلامي في البحر الأبيض المتوسط والذّي أعطى الشرعية لهذه الهجمات، وقد نظر إليها المسلمون على أنّها جهاد بحري أما المسيحيون فرأوا فيها حروبا مقدسة. [1]

كان مصدر هؤلاء الأسرى يرجع بالدرجة الأولى إلى: عمليات الجهاد البحري سواء نتيجة المعارك البحرية، أو مطاردة السفن الأوروبية أو عن طريق الإغارة على سواحل وجزر الحوض العربي للبحر المتوسط[2]، وكانت الجزائر خلال القرن السادس عشر والسابع عشر من أهم المناطق القرصانية، حيث كان البحارة الجزائريون يقتادون أفراد هائلة من الأسرى الأوربيون إلى الجزائر وعرفوا بجنسيات مختلفة منهم الإسبان، البرتغاليون، الفرنسيون، الإنجليز، الهولنديون... الخ. [3]

ومن أهم العوامل التّي دفعت الجزائريين لاسترجاع أسراهم المسلمين هي القيام بحملات حربية وغارات بحرية على سواحل جنوب غرب أوروبا، ومن بين هذه السواحل: سواحل جنوة، نابولي، سردينيا، كورسيكا، ليفورنة...، وهذه المناطق تعد من أهم مراكز القراصنة الأوروبيون، التّي ينطلقون منها في غاراتهم على الجزائر، وخلفت هذه المعارك والحملات العسكرية أعدادا هائلة من الأسرى، ومن أمثلة ذلك: بعد الاستنجاد بالأخوين بربروسة وقصفهم مدينة جيجل حصلوا على غنائم كبيرة وبلغ عدد الأسرى 600 أسير، وعند قيام حسن باشا[4] بطرد الإسبان من مستغانم في 26 أوت 1558م وقع أكثر من 10 آلاف أسير إسباني في يده. [5]

---

[1] بلقاسم قرباش، المرجع السابق، ص51.

[2] محمد بن سعيدان، علاقات الجزائر مع فرنسا (1659-1756)، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المركز الجامعي بغرداية، 2012/2011، ص52.

[3] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص88.

[4] حسن باشا (1517-1570): ابن خير الدين من أم جزائرية (القولو علي) عين كنائب لوالده في 1544 ثم رقي إلى منصب بالرباي بعد وفاة والده عام 1546، وكلف بين عام 1546 و1567 ثلاث مرات بهذا المنصب، شارك في عدة معارك: معركة مستغانم، حصار وهران والمرسى الكبير 1563، وحصار مالطا 1565، ينظر: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص38.

[5] صالح عباد، المرجع السابق، ص84-85.

كما قام خير الدين بشن هجوم على منطقة ماهون بجزر البليار في 1535م وأسر ستة آلاف أسير من مواطنيها، ووصل عدد الأسرى الفرنسيين الذين أسرهم البحارة الجزائريون ما بين 1628-1634م إلى 1336 أسير.

كما قام البحارة بمواجهة السفن واعتراضها في عرض البحر، ومن أمثلة ذلك ما قام به مركب جزائري في 1575م في مواجهة مركب إسباني، كان يحمل العديد من الأشخاص ومن بينهم الشاعر الإسباني ميخال دي سيرفانس وحدث ذلك في نواحي السواحل الفرنسية.[1]

ويمكن أن نرجع تطور الأسر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى حاجة السفن الحربية والتجارية للمجذفين، فهذه السفن كانت تحتاج بين 150-240 مجذفا، وفي بعض الأحيان تصل إلى ثلاثمائة مجذف أو أكثر، إضافة إلى اتساع غير مسبوق للغارات البحرية، حيث كان يجلب الأسرى الأوربيون من المعارك والحملات العسكرية. [2]

شهد الأسر خلال الفترة الممتدة من 1500-1700م تطورا كبيرا لم تشهده العصور السابقة، حيث أصبح يوجه ضد أصحاب البشرة البيضاء[3]، وأصبحت الجزائر خلال هذه الفترة تلقب بعاصمة البيض[4] لكثرة الأسرى الأوربيين بها.[5]

---

[1] محمد عائشة، الأسرى الأوربيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 2012/2011، ص12-13.

[2] قرباش بلقاسم، المرجع السابق، ص57.

[3] محمد بن سعيدان، علاقات الجزائر مع فرنسا (1659-1756)، ص58.

[4] قرباش بلقاسم، المرجع السابق، ص62.

[5] إسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص19.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوربيون بالجزائر

شكل الأسرى الأوربيون في الجزائر السلعة الأكثر رواجا بسبب النشاط البحري المكثف[1]، حيث أصبحوا بمثابة بضاعة ذات قيمة كبيرة والتّي تكررت كثيرا في غنائم القرصنة[2]، وشكلت عملية أسرهم ومعاملتهم وبيعهم وشرائهم وإقامتهم قطاعا قويا وهاما، فكيف كانت حياتهم اليومية؟ وكيف كان يتم التعامل معهم؟

أولا- معاملة الأسرى الأوربيون وعقوباتهم:

عند وصول السفينة المأسورة إلى الميناء يقاد الأسرى إلى قصر الجنينة أو دار الإمارة حيث أن الباشا أو الداي له الحق ما بين 12% أو 10%> ويقاد الآخرون إلى السجن أين يباعون صباح اليوم التالي في البادستان[3][4]، حيث يتم فحص الأسرى صباحا لإدراك حالتهم وإمكانياتهم، وتتم عملية البيع بعد صلاة الظهر بحضور الراس وبعض الضباط لمعاينة الأثمان، ثم يقول المسمار بالصراخ قائلا عن مزايا الأسير أو مهنته والثمن الذّي حدد له، ويكون البيع بصيغة مزاد علني، وتعتبر هذه العملية أولية لوجود عملية أخر تتم بحضور المشترين حيث يباع للذي يدفع أعلى ثمن[5]، وكل من مر بهذه التجربة وكتب عنها قد صور لنا الهلع الذّي صادفه والوضع المزري الذّي شهده.

كانت الحالة الاجتماعية التّي يتمتع بها الأسير في بلاده هي أكبر عامل في تحديد نوع المعاملة التّي سيحظى بها في شمال إفريقية. [6]

---

[1] أمين محرز، المرجع السابق، ص213.

[2] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص53.

[3] البادستان: هو سوق لبيع الأسرى، يعود إنشاؤه إلى ما قبل 1573م، أسسه حسن فنزيانو على أنقاض فندق صغير، ارتبط تأسيسه بنشاط الغزو البحري، وخصص لبيع كل ما تم جلبه من غنائم بعد رجوعهم من الغزو البحري كالأسرى والبضائع، ينظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر إبان العهد العثماني 1700-1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 2003، ص20.

[4] جون باوولف، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ص210.

[5] محمد عائشة، المرجع السابق، ص18-19.

[6] جون باوولف، المرجع السابق، ص211.

إنّ معاملة الأسرى المسيحيين وسوء أحوالهم في الجزائر، صورها الأوربيون بمنتهى الوحشية والبربرية، وهذه النزعة غلبت على كتابات آباء الفداء، لكن بالمقابل نجد كتابات أخرى للأسرى ورحالة تحلت بالموضوعية[1]، فوضعهم يختلف من أسير إلى آخر، وكان أحسن بكثير من وضع الأسرى المسلمين في الدول الأوربية[2] وذلك من خلال شهادة الأسرى الأوربيين، ويقول كاثكارث في هذا الصدد: "أملنا أن يعامل العبيد من الترك والمغرب الموجيدين بين أيادي الإسبان والنابليتانيين والجنوبيين والمالطيين مثل ما يعامل المسيحيون وهم بين أيدي أشخاص وصفوا بالوحشية"[3]، ويضيف تيدنا في مذكراته أن القراصنة كانوا إنسانيين بعض الشيء كعس ما كان يتوقعه. [4]

وقد كرس الإسلام حق الأسرى في تلقي معاملة إنسانية حيث يقول هابنسترايث "أننا لم نلمس في مدينة الجزائر مع تعاملنا معهم سوى سلوك متحضر".[5]

وحسب وليام شالر فإنّ السلطات كانت دائما تحمي الأسرى من الأذى وسوء معاملة الأهالي، ويضيف إلى أنّ هناك من الأسرى من شغل المناصب العليا كاسبين ثروات طائلة، وعومل المشتغلون منهم في القصر أو الملحقون بالشخصيات الكبيرة في الدولة بأقصى درجات اللطف[6]، فالوضع الذّي عاشه الأسير الأوروبي بالجزائر جعله يمتنع عن

---

[1] جيمس ولصن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر (1795-1796م)، تر: علي تابلت، منشورات ثالة، 2007، ص70.

[2] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2005/2004، ص141.

[3] جيمس ليندر كاثكارث، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص40.

[4] أحميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص45.

[5] ج. أو. هانسترايت، رحلة الألماني ج. أو. هانسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145-1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.س، ص35.

[6] وليام شالر، المصدر السابق، ص100.

الرجوع إلى بلاده ويفضل البقاء في الجزائر، إذ أنّ لوجي دوتاسي فضل العبودية لمدى 10 سنوات بالجزائر عن السجن لسنة واحدة في إسبانيا. [1]

ويضيف كاثكارث قائلا عن رحيله من الجزائر: "لم أستطع أن أقول شيئا للباي الذّي أظهر تعلقه بي وألمه لفراقي... انصرفت الخيمتي دون أن أستطيع حبس دموعي... لقد عشت معهم حياة سعيدة وتمتعت بحبهم". [2]

إنّ أهم ما يميز حياة الأسرى الأوربيون بالجزائر هو التسامح الديني والحرية التّي منحت لهم في ممارسة شعائرهم الدينية[3] وذلك من خلال الممارسة العادة كقداس الأحد والأعياد الدينية.

ليس جميع الأرقاء كانوا أناسا مدللين في البيت أو حراسا شخصيين لأسيادهم (المالكين)، وأسوأ الجميع حالا هم أولئك المساكين الذين اشتراهم المزارعون الذين يمدون مدينة الجزائر بالحبوب والخضر، فقد كانوا كثيرا ما عملوا فوق الطاقة، فقد وصف لنا جيمس ولسن ستيفن وضعية الاسرى المزرية في الإيالة بقوله: "فالعبيد الذين يباعون داخل البلاد يخضعون لأعمال شاقة غير معهودة... وإن لم يقدموا خدمة كافية... فإنهم بالتأكيد سيضربون، فالبعض من هؤلاء العبيد يمشي في الحقول حافي القدمين، حيث يرعى الأنعام ويجر المحراث، ويؤدي كل الأنواع الأخرى من العمل الشاق"[4]، وهذا الجهد الذّي يقوم به الأسرى لا يحصلون إلا على قدر قليل من الطعام.

أشار هابنسترايت في مقارنة بين حالة الأسرى الأوروبيين في الجزائر والأسرى المسلمون في أوروبا: "فالمسلمون لا يستطيعون جر أغلالهم الثقيلة إلا بشق الجهد، بينما

---

[1] علي عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص263.

[2] جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص40-86.

[3] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص88.

[4] جيمس ولصن ستيفن، المرجع السابق، ص262.

الأسرى المسيحيون كانوا يقضون نهارهم أحرارا مقابل دفع مبلغ مالي كل شهر ليطلب منهم في المساء التوجه إلى مقراتهم التّي لم تكن أبدا مريحة بالنسبة لهم".[1]

وتشكلت وضعية الأسرى بالإيالة على حساب علاقة دولة الأسير بالإيالةوفاعلية الدبلوماسية القنصلية في تحديد هذه الوضعية، فتوتر العلاقات بين القناصل الأوربيين والدايات يؤدي إلى اشتداد الوطأة على الأسرى، حيث أمر الداي إبراهيم سنة 1731م بأنّ يسلسل جميع المقبوضين عليهم، ويضربون ويبعث بهم إلى العمل الشاق.[2]

كان أسرى الداي في مستوى معيشتهما أفضل من غيرهما، ويقول كاثكارت: "أنّ حالة الأسر الذين يعملون في القصر أفضل بكثير من غيرهم".[3]

أما أسرى الدولة فقد كانوا يتلقون معاملة حسنة من قبل الجنود، وكانت تدفع لهم أجورهم منتظمة[4]، أما الأسرى الخواص ارتكزت وضعيتهم على طبيعة المالك وقد يعيشون حياة سعيدة وحرية وهناك من يعاملون بطريقة سيئة ويضربون عند الخطأ، وقد أشار وليام شالر حول هذا الأمر قائلا: "أنّ أشد أنواع البؤس والشقاء الذّي يعاني منه العبيد المسيحيين في الجزائر هو برود حكومة بلده وجبنها إزاء حالتهم بحيث تحرمهم حتى من الأمل في الفدية يوما ما".[5]

وهناك نوع آخر من الأسرى وهم أصحاب المواهب والتجاريين، والبنائين والأطباء والجراحين، فكانوا ذا قيمة ويعاملون معاملة حسنة ويعيشون حياة جيدة.[6]

---

[1] ج. أو. هابنشترايت، المصدر السابق، ص46.

[2] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص159.

[3] جيمس لندر كاثكارت، المصدر السابق، ص28.

[4] وليام سبنسر، المرجع السابق، ص158.

[5] وليام شالر، المصدر السابق، ص101.

[6] بلقاسم قرباش، المرجع السابق، ص230.

أما النساء الأسيرات فيعاملن بالاحترام الذّي يفرضه جنسهنّ وأورد أبو العيد دودو عن قصة امرأة سويدية عاشت في الجزائر مكرمة، انتقلت إلى استانبول قبل الاحتلال بمدة قليلة.[1]

- عقوبات الأسرى[2]:

لقد كانت تفرض العقوبات على حسب الجرائم المرتكبة من طرف الأسرى، فبعضها يستلزم عقوبات قاسية والبعض الآخر تكون خفيفة، وعموما فإنّ العقوبات لم تكن بالضرورة تتماشى وضوابط الإسلام، فأغلب هذه العقوبات كانت غريبة في تنفيذها. [3]

ومن أكثر العقوبات رواجا بين الأسرى ما يعرف بـــ "الفلقة" أو الجلد، وكانت تسلط على الأسرى لارتكابهم بعض السلوكيات: كشرب الخمر في القصر حيث يتعرض صاحبه إلى الجلد وإحالته للأعمال الشاقة مكبلا بالسلاسل، أو أكل الفواكه من حديقة الداي حيث يقول كاثكارت: "أما فواكه الحديقة فهي ممنوعة كليا ويحتفظ بها لاستهلاك الداي شخصيا، وانا أتيج لي أن أعرف عددا من إخواني العبيد أنزلت بهم عقوبة الجلد عقب اكتشاف تناولهم برتقالة أو عنقود من العنب مما تنتجه حديقة القصر"[4]، ويجلد المسيحيون في قصر الداي بسبب التحدث بصوت عالي، أو المماطلة في الخدمة، أو خروجهم من غرفهم بعد وقت معين، أو تحدثهم مع الطباخين والعبيد الذين يعملون في الحديثة[5]، ويذكر هابنسترايت أنّه عند القبض على الأسرى في حالة الهروب يتعرضون إلى الضرب بالعصا، والذّي يتم بطريقة لا تؤدي إلى موت الأسير إلا نادرا[6]، هذه العقوبة تنفذ عند

---

(1) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص09.

(2) ينظر للملحق رقم 1.

(3) بلقاسم قرباش، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)"، مجلة الدراسات التاريخية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، ع1، 2013، ص138.

(4) جيمس ليندر كاثكارت، المصدر راسابق، ص26.

(5) نفسه، ص30-31.

(6) ج. أو. هابنشرايت، المصدر السابق، ص43.

محاولة الهروب، حيث يقوم الأتراك بضربهم ضربا من شفقه ويصدر في حقهم حكم الإعدام من الداي.

فالعبيد الذين تصدر في حقهم عقوبة الإعدام غالبا ما تنفذ في فوارة مقابل قصر الداي حيث ينتظر الجلادون الأتراك، ويطلب من المجرم أن يركع على ركبتيه ويقطع رأسه بسيف حاد. [1]

وإذا حدث ودخل أحد هؤلاء الأسرى الإسلام وارتد فسيحمل حيا ويرمى إلى الأسفل من أعلى أسوار المدينة، وعلى عقافات حديدية تمسك بعظام الحنك والأضلاع أو بأجزاء أخرى من الجسم، وقد حدث هذا للمغامر الإسباني جون غاسكونGascon John، غير أنّه أواخر عهد الدايات بدأ إلغاؤه بصفة عامة[2]،وتعتبر هذه العقوبة من أقصى أنواع العقوبات إضافة إلى أنّه يحكم على الأسير الذّي يمسك برفقة امرأة جزائرية بقطع رأسه، أما المرأة فيتم ربطها ووضعها في قفص يرمى على بعد ميل بالبحر[3]، إلا أنّه صدر من أحد الدايات مرسوم جديد يقضي مستقبلا أنّه في حالة اكتشاف نساء وعبيد معا يقتادان من الخلف مع بعضهما البعض ويحرقان. [4]

ويقول وليام سبنسر أنّ القتلة كان يحكم عليهم بالقتل، واللصوص من كانت تقطع يدهم اليمنى وتعلق على أكتافهم، وبعدها يوضعون على حمار ويحاط بهم في المدينة ووجوههم إلى الخلف، يسبقهم ممثل حكومي ينادي هؤلاء لصوص عوقبوا ومثل ذلك عينه كان الحكم على التزوير، وكان العقاب على التمرد والتآمر أو التهريب الخنق أو الشنق، وكان الغرماء يسجنون حتى تباع كل ملكيتهم، فإذا كان ثمنها يفوق قيمة الدين يعود المبلغ الزائد إلى السجين، وإذا كان العكس يطلق سراحه، بل كان عليه أن يخدم مائة يوم ويجلد

---

[1] جيمس ولسن ستيفن، المرجع السابق، ص270.

[2] بلقاسم قرباش، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)"، المرجع السابق، ص138.

[3] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، المرجع السابق، ص265.

[4] جيمس ولسن ستيفن، المرجع السابق، ص282.

مائة جلدة[1]، والعبيد المشاغبون الذين يتعاركون باستمرار ليلا وتقاتلون بالخناجر في السجون، في بعض الأحيان يتدخل وكيل عريق لتسوية الفوضى بينهم بحبل قصير مع عقدة في النهاية، أو يربطهم بسلاسل حتى الصباح.[2]، فأما اليهود أو النصراني الذّي نقص من معدن العملة تقطع يده ويشنق ويطاف بجثته في أرجاء المدينة، ونفذت هذه العقوبة حديثا أي أوائل القرن الثامن عشر، ولليهود قاضٍ خاص بهم، بينما النصارى لهم حرية رفع تظلماتهم أمام قناصل دولهم. [3]

ثانيا: أماكن إقامة الأسرى الأوربيون وأعمالهم

في البداية كان العبيد يسجنون في الحمامات خلال فترة الليل، وفيما بعد تزايد عددهم وبنيت لهم عمارات خاصة عرفت باسم السجن[4] أو "البانيو"، وقبل وصف هذه السجون[5] يستحسن تعريف كلمة "البانيو Bagne"، حيث يعتقد الكثير أنّ كلمة (Bagne) الفرنسية جاءت لأول مرة من اللغة الإيطالية (Bagno)، في حين يرى آخرون أنّها جاءت من اللغة الإسبانية (Bano)، والبانيو هو عبارة عن منشأة مخصصة للأسرى المسيحيين في الجزائر، ويسمى بالتركية (Zindam) [6]، وهي شبيهة في حسن تجهيزها بالأحياء المخصصة للأوجاق، وقد قسمت إلى عدة حجرات مع خزان مائي في الوسط[7]، كان البانيو يتألف من ساحة محاطة بطابقين من البناء الذّي له شرفات تطل على المساحة وكانت غرف مستطيلة وإضاءتها تعتمد على النور المتصل بالفتحات الخارجية، وكل غرفة يسكنها بين 10 و20 رجلا ينامون على الحصر، وكان البانيو مخصصا لأرقاء

---

(1) وليام سبنسر، المرجع السابق، ص12-130.

(2) جيمس ولسن ستيفن، المرجع السابق، ص270.

(3) ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص39-40.

(4) كوربين شوفالييه، المرجع السابق، ص58.

(5) ينظر للملحق رقم2.

(6) بلقاسم قرباش، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني"، المرجع السابق، ص133.

(7) وليام سبنسر، المرجع السابق، ص56.

الرجال فقط، أما النساء والأطفال كان يحتفظ بهم في مؤسسات أخرى منفصلة على الرجال. [1]ومن أهم هذه السجون:

1- سجن البايلك:

عرفت أيضا بسجن الباشا، وهو عبارة عن بناية مستطيلة الشكل، يبلغ طوله 140 قدما، وعرضه 60 قدما، ويتكون من ثلاث طوابق، وجميع السقف مبنية أقواس وليس لها نوافذ، فالطابق الأول حول إلى حانات يديرها مسيحيون يدفعون إيجارها[2]، وبمجرد غلق أبواب السجن يفتح سوق اللصوص حيث كل أنواع البضائع كانت متوفرة بأثمان زهيدة[3]، يحيط بالطابق الثاني والثالث من مبنى هذا السجن ممر واسع يمكن الدخول منه إلى غرف طويلة وضيقة، وهي التّي ينام فيها العبيد[4]، وتتسع كل غرفة لإيواء اثنا عشر عبيدا، تتشكل النوافذ من قضبان حديدية مقوسة ذات ثلاثة أو أربعة إنش لكل واحدة[5]، كان نظام هذا السجن خاصا، حيث تغلق أبوابه في الليل، وفي الصباح الباكر تفتح أبواب السجن للأسرى من أجل العمل.

2- سجن قاليرا (سجن المجذفين):

سمي بهذا الاسم لأنّه كان فيه في السابق العبيد الذين يجدفون في السفن الجزائرية، وعندما أعيد بناؤه وترميمه احتفظ بتلك التسمية، بني بنفس التصميم الذّي بني عليه الأول ولكنه لا يحتوي طابقين وليس له نفس الطول، ويحتوي على طابق واحد[6]، ويقول جيمس ستيفن حول هذا السجن وسجن البايلك: "هناك إثنان من السجون، حيث يقيم العبيد ويطلق على أحدهما سجن البايلك والآخر سجن قالار والجذافين، والأول أكبر بكثير من الثاني،

---

[1] جون ب-وولف، المرجع السابق، ص231.

[2] علي تابليت، بحوث في تاريخ الجزائر- الفترة العثمانية، ج1، منشورات تالة، الجزائر، 2014، ص68.

[3] جون ب-وولف، المرجع السابق، ص231.

[4] علي تابليت، المرجع السابق، ص68.

[5] جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص215.

[6] علي تابليت، المرجع السابق، ص69.

ويستقبل عددا يفوق ثلاثة أضعاف بالسجن الأخير"[1]، أما الحانات فهي في نفس الموقع، ويذكر كاثكارت في مذكراته: "كان يسمح للأسير في سجن جاليرا تسيير حانة في السجن، ولا يدفع سوى نصف الرسوم المقررة، وشراء حانته لعينه وهو الذّي مكنني من الحصول على المال في وقت لم يكن فيه زملائي في الأسر يملكون شيئا"[2]، والغرف المستطيلة في السجنين فوق الآخر يسكنها الأسرى الذين يستطيعون دفع إيجارها[3]، وتقيم حيوانات مفترسة في هذا السجن، في خمس غرف مثل الأسود والنمور وتواجدها يعتبر هدايا من الداي لدول العبيد، وفي حالات كثيرة تفلت هذه الحيوانات من أقفاصها، ولا يمكن إعادتها إلا بعد أن يسقط أحد العبيد ضحية لهيجانها. [4]

3- سجن سيدي حمودة:

وهو أصغر السجون الثلاثة، ولكنه يحتوي على جميع أنواع البؤس والشقاء المشتركة بين السجنين الآخرين، وبناؤه غير منتظم الشكل، يتكون من ثلاثة أو أربعة منازل قديمة تربط بينهما ممرات، والسجن أخذ اسمه من مالك بنايته "سيدي حمودة" السابق. [5]

4- السجون الخاصة بالملاك:

هي عبارة عن مرقد للأسرى في الليل ينامون هناك وفي الصباح كل واحد يتدبر أمره حيث يعمل ويقدم لصاحبه نسبة معينة من مدخله، ومن أشهر هذه السجون سجن علي بيتشين، سجن خير الدين، سجن سليمان رايس، فالأميرال بيتشين مثلا كان المالك الأكبر لسجن في حدود 1640، كان يقيم في هذا السجن الأسرى التابعين لغيلوطاته، فكانت بناية شاسعة حيث يوجد فيها مدخل ضيق يؤدي إلى قبو كبير، ويوجد في الأقسام العلوية

---

(1) جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص215.

(2) جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص128.

(3) علي تابليت، المرجع السابق، ص69.

(4) جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص216.

(5) علي تابليت، المرجع السابق، ص70.

من البناية فضاء واسع يضم مجموعة شرفات لطابقين علويين، ويوجد بينهما عدة غرف، ومعبد واسع للأسرى المسيحيين يكفي استقبال 300شخص[1] ولا ننسى أنّه تواجدت ملكيات فردية خاصة بالسكان العاديين، حيث قاموا بشراء العبيد ويقومون بتركهم في مزارعهم أو بيوتهم من أجل خدمتهم. [2]

ومع نهاية القرن السابع عشر كان لكل بانيو معبد، وأوّل معبد أسسه الأب ديبور Duport سنة 1551 في البانيو الذّي كان يملكه أحد الكراغلة. [3]

- أعمال الأسرى:

أما الأعمال التّي كان يقوم بها هؤلاء الأسرى فهي تتوزع على الخدمات الاجتماعية والمهام الاقتصادية داخل مدينة الجزائر، وعلى أعمال الفلاحة يفحص مدينة الجزائر[4]، ولإيضاح الأعمال التّي كان يقوم بها الأسرى يمكن تقسيمها إلى مجموعات على حسب مالك كل أسير:

أ- أعمال أسرى الداي:

كان الدايات يختارون الضباط، الأطباء، النجارين، وذوي منفعة عامة إلى جانب أشخاص من النوع الرفيع، غير أنّه أصبح في الغالب يستخدم هؤلاء العبيد في مهمات خسيسة داخل القصر[5]، وتشمل أعمال الأسرى في قصر الداي علي كابوديجولفا Capodigolfa الذّي هو أكبر العبيد في جميع الإيالة ومعه أربعة آخرونم من العبيد وهم حرس الداي الشخصي، وفي الطابق الأول يوجد أربعة عشر عبدا مسيحيا تتمثل مهامهم في ضمان نظافة الجناح وحمل الأطباق إلى مائدة الداي واثنان من هؤلاء مهمتهما الوحيدة

---

(1) جيمس ويلسن، المرجع السابق، ص216.

(2) بلقاسم قرباش، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني"، المرجع السابق، ص132.

(3) جون ب-وولف، المرجع السابق، ص234.

(4) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص137.

(5) جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص260.

تقديم القهوة للداي ووزرائه من العظماء[1]، وفي الجزء الأسفل يوجد اثنان مهمتهما القيام بتنظيف الجزء الأسفل من القصر، وإضاءة الدروج للداي في الصباح ورفع أسرة الجنود الذين يرقدون عند أبواب الخزينة[2]، ويشير سيمون بفايفر حول أعماله في القصر بقوله: "... كانت وظيفتنا تتمثل في تنظيف القصر وغسله بالمياه وإشعال النار في المطبخ وذبح الغنم والدجاج، وتنظيف البقول والخضر والصحون وجميع الأدوات المنزلية، وكذلك القيام بالأعمال المنزلية كلها بصورة عامة، ولم تكن أعمالنا تستغرق في اليوم كله فقد كان هناك أوقات فراغ".[3]

ويوجد من بين من يعملون في القصر عدد من الحدادين والكناسين الذين يقومون بنقل القاذورات الكثيرة التّي تجتمع في القصر[4]،كما أنّ هناك من يتولى تنظيف حديقة القصر.

وقد ارتقى بعض هؤلاء الأسرى المسيحيين في مناصبهم ونذكر منهم الأسير الألماني سيمون بفايفر الذّي كان يشتغل طباخا وأصبح يشتغل طبيبا لدى الحكومة، وكان أولئك الذين يشتغلون في قصر الداي أو عند المسؤولين الكبار أكبر حظا من غيرهم.[5]

ب- أعمال أسرى الخواص:

الأسرى الخواص هم الذين يكونون تابعين لمالكيهم بعد الشراء، وكانوا يقومون بالخدمة في بيوت أسيادهم لجلب الماه وحراسة الأطفال وتبييض البيوت أي دهنها[6]، كما كانوا يؤجرون كعمال لأي شخص يحتاج اليد العاملة أو يتركون ليدبروا عملهم بأنفسهم.[7]

---

(1) جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص25-26.

(2) نفسه، ص27.

(3) سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص18.

(4) جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص27.

(5) أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص143.

(6) كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص58.

(7) جون ب-وولف، المرجع السابق، ص230.

وأسرى الخواص الذين يعملون عند القناصل أو الأغنياء من اليهود والأتراك والعرب أو عند القساوس فأن حالهم أقلما يقالعنهحسن إذا ما قورنوا بالأسرى الحرفيين العاملين في الورشات كالنجارين والحدادين حيث صور لنا كاثكارت حالهم بقوله: "... وفي ورش الحدادة... رأيت بعني أطباء وقساوسة وممثلين وتجار وغير ذلك من الشّخصيات الثقافية من الأسرى ينفخون منفاخ الحداد ويبكون في صوت واحد حظهم العاثر".[1]

وأما الأرقاء الذّي اشتراهم المزارعون فقد كانوا كثيرا ما عملوا فوق الطاقة ويسكنون مسكان سيئة، بالإضافة إلى قيامهم بالأعمال الشاقة من طلوع الشمس إلى غروبها[2]، أما فيما يتعلق بالنساء فقد كانوا جزءا من الأسرى الخواص ويقومون بالأعمال المنزلية، وعلى سبيل المثال فقد امتلك علي بيتشين20 امرأة سخرها كلها لخدمة زوجته.

جـ- أعمال أسرى البايلك:

أما بقية العبيد الذين لا يختارهم الداي لخدمته في القصر ولا يشتريهم الباعة من الأفراد يصبحون ملك للبايلك ويرسلون إلى الخدمة العمومية[3]، فيستعملون للخدمة في تفجير الحجارة عبر طرق الإيالة أو في دار الصناعة وورشات بناء السفن، كما كانوا يعملون كمجذفين على سفن الرياس. [4]، كما عملوا في مناطق مختلفة من البلاد فالبعض منهم بجبل بوزريعة، والبعض حدائق مختلفة للقناصل المقيمين في الريف، والآخرون في البحرية والفلاحة، أما في يوم الجمعة فيؤمرون بالعمل في باب الوادي[5]، وعند الانتهاء

---

[1] جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص74.

[2] جون ب-وولف، المرجع السابق، ص230.

[3] جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص261.

[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص156-160.

[5] جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص267.

من عملهم اليومي يغادرون جميعا إلى إقامتهم المشتركة في السجون، كما كانوا يقومون بأعمال البناء حيث قاموا ببناء مسجد خير الدين. [1]

ساهم هؤلاء الأسرى بخبرتهم وعملهم وجهدهم في تطوير بعض القطاعات مثل صناعة السفن والأشرعة والمنشآت العمرانية والدفاعية، كما أنّ هناك عدد منهم من اندمجوا في المجتمع بعد اعتناقهم الإسلام، وتقلدوا المناصب العليا في البلاد. [2]

ثالثا: الحالة الصحية للأسرى وألبستهم وطعامهم

قامت الممثليات القنصلية وكذلك الإرساليات الدينية المهتمة بتحرير الأسرى الأوروبيين، وأغلبها البعثات الدينية الفرنسية وإسبانية والإيطالية، بتقديم خدمات طبية، ووظفت من أجل ذلك رجال الدين باعتبارهم ذوي معرفة بأمور الطب والصيدلة[3]، حيث قاموا بتقديم الرعاية الصحية للأسرى المسيحيين إلى أن يحين فداؤهم، هذه الرعاية تتم من خلال تقديم خدمات الطب والاستشفاء التي توفرها المستشفيات المسيحية التّي قاموا بإنشائها (رجال الدين) على مستوى سجون الأسرى.

فقد قام الأب سيباستيان ديبورت بتأسيس مستشفى في 1551 لفائدة الأسرى المسيحيين، وأعيد تجديده في 1612[4]، وكان يستقطب أعدادا كبيرة من المسيحيين وحتى المسلمين خاصة أيام الوباء، فقد أخبرتنا إحدى الوثائق عن المستشفى خلال الثمانية وعشرين سنة عن معالجة 35.833 أسير بالمستشفى، توفي منهم 2.090 أسير فقط، بينما عولج 33.743 أسير أي بمعدل 14%.[5]

واصل رجال الدين تأسيسهم للمستشفيات، إذ أسس الأب كابوسان في 1575 أهم مستشفى بمدينة الجزائر خارج باب الواد، كما قام القديس برناردو مونروا بتأسيس

---

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص199.

[2] أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص144.

[3] ج-أو- هابنسترايت، المصدر السابق، ص34.

[4] نفسه، ص34.

[5] قرباش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات، المرجع السابق، ص270.

مستشفى بالقرب من تبرنة البايلك، وثم افتتاح صيدلية بالقرب من الجنينة سنة 1665 وأخرى بالقرب من سجن حسن باشا من طرف القديس بيدرو[1]، إضافة إلى مستشفى البعثة الفرنسية الذّي أنشأه الراهب تراريدو سنة 1662 داخل أحد السجون العامة قرب باب عزون ومستوصف لازاريث الذّي قدم له الملك الفرنسي لويس الثالث عشر الدعم المالي، وبجانب هذه المستشفيات أولى حكام الجزائر رعايتهم لبعض الملاجئ والمصحات منها مصحة خاصة بالأمراض العقلية. [2]

وتقع هذه المستشفيات منها في السجن الكبير، والباقي في السجون الأخرى وتوجد صيدلية في السجن الكبير توفر الأعشاب الطبية والأدوية لجميع المستشفيات، أمّا الإدارة العامة لهذه المستشفيات فكانت في السجن الكبير[3]، ويقول هابنسترايت حول المستشفى الإسباني: "أما المستشفى الاسباني فيسيره متصرف ويساعده أحد رجال الدين (الآباء) المنتمين لسلك رهبنة عتق الأسرى ويلحق به جراح وصيدلي يقومان بمعالجة المرضى"[4] وكان جميع العبيد المسيحيين من مختلف المذاهب (البروتستانت، الأرثوذوكس الكاثوليك) يعلجون في المستشفى دون مراعاة اختلاف المذاهب. [5]

أصبحت هذه المتشفيات غير كافية وغير قادرة على التكفل بالمرضى خاصة أثناء الأوبئة الفتاكة التّي مست الجزائر كالطاعون الذّي انتشر من 1799-1805 والعديد من الأمراض، مما أدى برجال الدين المسيحيين إلى افتتاح مصحات إضافية في منازل مؤجرة مثلما فعل الأب لو فاشي الذّي حول منزله إلى مستوصف خلال وباء 1682[6]، وفي بعض الأحيان يجلب الطبيب إلى بيوت الملاك لمعالجة أسراهم.

---

(1) فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)، أطروحة دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص208.

(2) ج-أو- هابنسترايت، المصدر السابق، ص34.

(3) علي تابليت، المرجع السابق، ص73.

(4) ج-أو- هابنسترايت، المصدر السابق، ص34.

(5) جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص102.

(6) فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص220.

كانت نفقات المستشفى الإسباني عبارة عن دعم من إسبانيا التّي تعتبر نفقات ثابتة، إضافة إلى الأموال المجموعة من التبرعات، إضافة إلى فرض الداي ضريبة تدفع إلى المستشفيات. [1]

وبالحديث عن الأطباء المسيحيين الأسرى، سنجد انحصارهم التطبيب لكبار الشّخصيات وأهل المدينة، وقد اكتسبوا مكانة عند العامة والمسؤولين، وهذا ما يؤكده هابنسترايت بأنّ الجزائريين يحملون نظرة جيدة عن كفاءة الأطباء النصارى إذ كانوا يتصفون بالعلماء حيث يقول في هذا الشأن: "... بل أصبحنا محل تقدير لكوننا أجانب ولأننا نمتهن حرفة الطب أو التداوي بالأعشاب، فقد اعتادوا على تسميتنا بالبابيروا...".[2]

ومن أبرز الأطباء الأسرى نذكر:

- ميلشور غيلاندين Melchior Guillandin وهو طبيب إيطالي أسر في 1557 ومكث إلى غاية 1561.
- مانويل موريللو، وهو طبيب إسباني اسر في 1649، اشتغل طبيبا مدة ثلاثة عشر سنة في الجزائر، ثم نال حريته مكافأة على خدماته.
- سيمون بفايفر، أسير ألماني اشتغل طباخا لدى الداي حسين، وبعد إظهار مهارته الطبية اشتغل طبيبا لمدة 5 سنوات. [3]

- طعام الأسرى ولباسهم:

كان طعام ولباس الأسرى يختلف على حسب الوظيفة والعمل المؤدى من قبلهم، فالمشتغلين لدى الحكام أو أثرياء المدينة كانوا يحصلون على وجبات أفضل بكثير من زملائهم بالسجون[4]، في حين أنّ العبيد الذين في السجون أحوالهم تثير الشفقة فقد كانت جد مزرية، وأعمالهم شاقة وأكلهم قليل لا يشبع.

---

[1] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات، المرجع السابق، ص270-271.

[2] ج-أو- هابنسترايت، المصدر السابق، ص62.

[3] بلقاسم قرباش، المرجع السابق، ص274-275.

[4] بلقاسم قرباش، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر (1519-1830)، المرجع السابق، ص136.

فبالنسبة لطعام الأسرى الذين يعملون في مقر الداي فقد كانوا يتلقون طعاما جيدا، حيث يقول سيمون بفايفر: "أما طعامنا فأنّه لم يكن من النوع الذّي يفرض علينا أن نشكو من الجوع، فقد كانت فضلات المطبخ كلها وكذلك ما يتبقى فوق مائدة الوزير أو السادة الآخرين من أهل البيت"[1]، بينم كاثكارت فقد كان دقيقا في وصفه لطعام العبيد في القصر في قوله: "... إنّ العبيد الذين كانت مهمتهما تقديم القهوة للداي ولزواره يعيشان من مائدة الداي... ونحن عمال الحديقة لا نتلقى من الطعام سوى صحن صغير من اللحم مع المحمصة وصحن من البرغل، وقدحين من اللبن الحامض في اليوم، وبين الحين والآخر يقدم إلينا بشيء من الزيت والخل والخبز الأسود... وكذلك تقدم الينا بعض الفواكه".[2]

وبخصوص طعام أسرى البايلك، فقد كان يتكون من الخبز أسوأ النوعية[3]، وصحن صغير من الخل وكأس من الماء، وتتوزع على ثلاث وجبات بداية من الثامنة صباحا ونفس الوجبة على الغداء والعشاء.[4]

وهناك مظهر آخر لطعام الأسرى أوردها كاثكارت في مذكراته قائلا: "... وفضلات عن هذه الحيوانات (الأسود والنمور) توفر غذاء شهيا لحشود الفئران... وهذه الفئران بدورها كثيرا ما يستعملها بعض العبيد المساكين لدفع غائلة الجوع الذّي ينهش أحشاءهم، وكذلك يأكل بعض العبيد القطط بحكم الضرورة".[5]

أما بخصوص لباس الأسرى فيختلف هو الآخر من أسير إلى آخر، فبمجرد وصولهم إلى الجزائر يسلم لهم قميص فضفاض مفتوح الأكمام وسراويل تركية واسعة وأحذية وطرابيش حمراء[6]، فأسرى كبار رجال الدولة يتكون لباسهم من قلنسوة حمراء

---

(1) سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص16.

(2) جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص26.

(3) جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص269.

(4) بلقاسم قرباش، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر (1519-1830)، المرجع السابق، ص137.

(5) جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص60.

(6) نفسه، ص22.

وقميص وصدارة الصوف، وسراويل ينتهيان فوق الركبة، ونعلين من النوع الرخيص[1]، وعليه فإننا تلمس أنّ العبيد الذين يعملون في القصر لهم مظهر لائق مقارنة بغيرهم، ويؤكد هذا كاثكارت في وصفه لهم حيث قال: "... كان العبيد الذين يعملون في الجناح الأعلى من القصر يتلقون بدلتين أنيقتين من الجوخ الرفيع مزينة بحواشي من الذهب، أم العبيد الذين يعملون في الحديقة، فيمنحون نفس النوع من الملابس باستثناء حواشي الذهب، أما الطباخون فيتلقون ألبسة من نوع من القماش أقل جودة ولكنها مطرزة بالحرير، والعبيد الذين يرسلون للأعمال الشاقة يتلقون بدلة واحدة من القماش الرديء"[2]، والأسرى الذين هم في خدمة الداي يقع إكساؤهم كل سنة. [3]

أما أسرى البايلك يكسبون قميص فضفاض من القماش وسروال داخلي وقفطان صغير من نفس النوع الذّي يصل إلى الركبة وقبعة بيضاء ونعلين ويحتفظ به الأسير لمدة عام.[4]

وعن عملية توزيع الملابس على الأسرى فيقول عنها جيمس ويلسن ستيفن في كتابه للأسرى الأمريكان: "وهذا اليوم يأتي مرة واحدة في العام فهو يوم لمهجران عام... حيث يقوم وكيل الخرج وعدد من مرافقيه بتقديم كل عبد بانتظام حلة من الثياب بالزي الترك تجمع في حزمة صغيرة من الثياب وتتشكل من زوج سراويل قصيرين من الجوخ وسترة بدون أزرار ولا أكمام، وقميصين قماش فخشين بكمان قصيرة وزوج من الأحذية مصنوعة من الجلد الأصفر"[5]، ومنهم من يقول أنّ الأسرى كانوا يتلقون خمسة أذرع من النسيج الكتان مرة واحدة كل سنة، ويصنعون منها بأنفسهم قميصا وسروالا صغيرا. [6]

---

[1] سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص16.

[2] جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص28.

[3] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص179.

[4] بلقاسم قرباش، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر (1519-1830)، المرجع السابق، ص137.

[5] جيمس ويلسن ستيفن، المرجع السابق، ص293.

[6] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص59.

الفصل الثاني

تنظيم عملية افتداء الأسرى الأوروبيون

المبحث الأول: إجراءات افتداء الأسرى الأوروبيون

أولا- جمع أموال الفداء والإبحار نحو الجزائر

ثانيا- التفاوض حول عملية افتداء الأسرى

ثالثا- قيمة الفدية ولواحقها

المبحث الثاني: ظروف وصعوبات الافتداء وشروطه

أولا- ظروف وصعوبات الفداء

ثانيا- شروط الافتداء

تعد مسألة افتداء الأسرى من أهم المسائل التي شغلت العلاقات الثنائية المغربية والأوروبية لأهميتها وقيمتها، وقد خضعت عملية افتداء الأسرى إلى مجموعة من الإجراءات الّتي تنظمها، وكانت تستغرق مدة من الزمن وتتطلب جهودا معنوية ومادية كبيرة انطلاقا من الأراضي المسيحية وصولا إلى إيالة الجزائر، وقد عرفت نشاطا واسعا لما أكسبته من طابع اقتصادي وتجاري، لما كانت تدره من أموال لخزينة الدولة والملاك على حد السواء، وقد عرفت قيمة الفدية اختلافا وتباينا في حجمها، كما وقفت في طريق عمليات الفداء عدة صعوبات ارتبطت بطبيعة العلاقات الثنائية، ولتحرير هؤلاء الأسرى لابد من الحصول على وثيقة الجواز الرسمية الّتي لا يمكن بدونها الوصول إلى البر الجزائري، والّتي تضمنت مجموعة من الشروط ينبغي الالتزام بها لإتمام عملية افتداء الأسرى.

المبحث الأول: إجراءات افتداء الأسرى الأوروبيون

خضعت عملية افتداء الأسرى إلى مجموعة من الإجراءات التّي كانت تستغرق مدة زمنية طويلة، حيث تتطلب جهودا مادية ومعنوية كبيرة وتنطلق هذه العملية من الأراضي المسيحية، بداية بجمع أموال الفداء، أو ما يسمى بمواكب جمع الأموال، والتّي ساهم فيها عدة أطراف كالملوك والكنيسة وحتى الشعب، وصولا إلى إيالة الجزائر[1]، أين يتم استقبال آباء الفداء (القساوسة) من طرف الداي (الباشا) وكان يتعامل معهم بالنزاهة والحسنى وعدم الاعتداء عليهم، وبعدها يباشر آباء الفداء في عملية التفاوض مع الجهة المالكية بعد تحديد قيمة الفدية[2]، ويسلم الأسير إلى المبعوث ويعطى له معطفا أبيض اللون كرمز لتوبته، وحينئذ يقود القس أو رجل الكنيسة كل الأسى المفتدين إلى البلدية، حيث تصدر شهادة حرية لكل واحد منهم، بعد ذلك يسمح للأسرى بمغادرة الجزائر. [3]

وفيما يلي سنتحدث أكثر حول إجراءات عملية الفداء.

أولا- جمع أموال الفداء والإبحار نحو الجزائر:

كانت عمليات الافتداء التّي تتم من طرف الآباء والقساوسة مكلفة كثيرا، لأنّ هؤلاء مخيرون على دفع بعض الحقوق، ومرغمون على تقديم الهدايا للداي وبعض ضباط الديوان، وكثيرا ما يتطلب تحرير بعض الأسرى مبالغ باهظة تحددها إدارة الداي. [4]

اتسمت عملية جمع الأموال بالتنظيم بحيث ساهم فيها الملوك والكنيسة والشعوب، ورافقت هذه العلمية مجموعة من الطقوس[5]، حيث كان آباء الفداء ينتقلون من قرية إلى أخرى ومن مدينة إلى مدينة أخرى يجمعون أموال للفداء، ويصف لوجي دوطاسي وغيره

---

(1) بنور حبيب، دور القنصليات الأجنبية في خدمة قضايا الأسرى في الجزائر 1789-1830، مذكرة ماجستير، تاريخ الديبلوماسية والعلاقات الدولية خلال القرنين 19و20م، جامعة جيلالي اليابس بسيدي بلعباس، 2014-2015، ص90.

(2) جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص217.

(3) حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص55.

(4) نفسه، ص56.

(5) بنور حبيب، المرجع السابق، ص90

من الملاحظين على أن أولئك الأعضاء كانوا يخبرون بحكايات مبالغ فيها، ويستعرضون الأرقاء السابقين في محفل رهيب بلحاهم الغير محلقة، وبوجوه تعيسة وهم مثقلون بالسلاسل التّي لم يوثقوا بها أبدا، وبذلك سيطروا على عواطف الناس الذين كانوا يرمون بالذهب والفضة في الأواني. [1]

ومن أجل تغطية تكاليف الفداء الباهظة ودفع المسيحيين لتقديم الهبات والتبرعات المالية، استعملت عدة طرق وأساليب منها:

- تخصيص 80%، 90% من الميزانية وضعت تحت تصرف آباء وقساوسة الفداء من أجل افتداء أكبر عدد ممكن من الرهائن.
- فرض غرامة مالية على السلع المستوردة من الخارج وتخصص لعملية الافتداء.
- فرض غرامات مالية على كل فرد يحضر متأخرا لأداء الصلاة، مثل ما حدث في إنجلترا.
- تدخل رجال الدين في الكنائس من خلال إلقاء الخطب وإسداء النصائح الهادفة إلى إثارة حماس الأفراد وحثهم على تقديم الهبات، كما ترسل الكنيسة فرقا لجمع الأموال عبر مختلف الأقاليم. [2]
- كتب الدعاية التّي تندد وتغالي في مدى شقاوة الأسرى، وتدعو إلى النصرانية والحرب الصليبية على غير أتباعها، وأشهر هذه الكتب هو كتاب (Pére dan رئيس الثالوث الأقدس وخلاص الأسرى). [3]

وبتوفير المبالغ المالية الكافية والحصول على ترخيص من الملك يتم الإبحار إلى الجزائر، ومع وصولهم إلى مدينة الجزائر يقدم المبعوث نفسه إلى سلطات الميناء، مصرحا بالمبلغ المالي الذّي يحمله معه، ثم يدفع 3.5% منه كضريبة من واجب البناء

---

[1] جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص216.

[2] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص57.

[3] علي تابليت، المرجع السابق، ص80.

بالإضافة ال ذلك، فأنّه يقدم مبلغ مماثلا في شكل هدايا للداي وإلى ممثل الديوان، ثم يوفر له سكن ومترجم، ويسمح له بإعلام كنيسته أو بعثته إذا كانت عاملة في المدينة[1]، ويعامل هؤلاء القساوسة طيلة مدة إقامتهم في الجزائر معالمة حسنة حيث أنّ الداي يصدر أمرا رسميا بعدم الاعتداء عليهم، كما يحصلون بعد تسديد الضرائب المفروضة عليهم بالإذن بالتنقل عبر المدينة لإتمام مهامهم. [2]

ثانيا- التفاوض حول عملية افتداء الأسرى:

كان آباء الفداء بعد وصولهم إلى الجزائر يتفاوضون مع الجهة المالكة، من أجل تحرير الأسرى من مختلف الفئات، وكل هذه الإجراءات والطرق والتقنيات المتبعة في عملية الفداء هدفها واحد وهو تحرير الأسرى بأسعار جيدة، لهذا عادة ما تستغرق هذه المفاوضات شهرين أو أكثر قبل أن تتوج بنتائج آباء الفداء يريدون تحرير أكبر عدد ممكن من الأسرى برؤوس الأموال التّي يملكونها، بينما يسعى الملاك للحصول على هذه الأموال مقابل إطلاق سراح أقل عدد منهم. [3]

وتتم المفاوضات حول تحرير أسرى الداي أو البايلك بحضور الباشا، المترجم والقساوسة الذين يحملون معهم قائمة بأسماء الأسرى المعنيين بالافتداء. [4]

أول الأرقاء الذين يحررون هم أولئك الذين يملكهم الباشا وغيره من الأعيان، وهم في العادة الكبار في السن والعجزة الذين لم يعودوا مفيدين لمالكيهم، ولا يقع أي تحرير للأسرى إلا إذا تمت الإجراءات بشأن هذا الصنف منهم[5]، ويسمح للأسرى بالمساهمة بأي توفيرات يكونون قد جمعوها بهدف مبلغ الافتداء. [6]

---

[1] ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص158.

[2] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص63.

[3] نفسه، ص64-65.

[4] بنور حبيب، المرجع السابق، ص93.

[5] جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص217.

[6] ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص158.

ومن الصعوبات التّي تعترض المفاوضات غالبا ما تتعلق بتحديد عدد الأسرى الذين يمكن فداؤهم، وقيمة فدية الأسير.

أما عن التفاوض حول افتداء أسرى الخواص، فلا يتم إلا بالحصول على رخصة من الباشا تسمح لهم بالتعامل مع هؤلاء الملاك خول فداء الأسرى الذين بحوزتهم.

وانتهج آباء الفداء بعض الأساليب لإنجاح المفاوضات حول تحرير الأسرى كتقديم هدايا متمثلة في الجواهر ومبالغ مالية للداي حتى أصبح عادة راسخة، ومن تقاليد اللقاء بين الطرفين. [1]

ثالثا- قيمة الفدية ولواحقها:

رافقت عملة التفاوض من أجل افتداء الأسرى تحديد قيمة الفدية والتّي تتدرج في تكاليف الفداء باعتبارها مداخيل استفادت منها الإيالة، ويعد مالك الأسير سواء كان الداي أو أملاك الخواص المستفيد الأول من عملية الافتداء، وتختلف قيمة الفدية باختلاف جنس الأسير وعمره ومركزه الاجتماعي[2]، فقيمة الأسير حسب مكانته مثلا تختلف من أسير إلى آخر، فالقبودان (قائد السفينة) يتطلب إطلاق سراحه دفع ألفين وخمسمائة قرش، بينما معاونه وكذلك صناع السفن أو الجراح فيدفع كل واحد منهم ألف وخمسمائة قرش، أما البحارة فعليه تسديد ألف قرش[3]، أما فيما يتعلق بالجنس فغالبا ما تكون قيمة فدية المرأة ضعف فدية الرجل، فإذا تحرر الرجل يدفع مبلغ 36000 فرنك فرنسي، أما المرأة لا يمكنها استعادة حريتها إلا بدفع 72000 فرنك فرنسي أي ضعف المبلغ، ورغم ذلك فآباء الفداء يعطون أولوية لفدية النساء والأطفال لأنّ هؤلاء يسهل إدخالهم حسب رأيهم في الديانة الإسلامية عكس الرجال البالغين.[4]

---

[1] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص65-66.

[2] بنور حبيب، المرجع السابق، ص93.

[3] ج-أو- هاينسترايت، المصدر السابق، ص42.

[4] بنور حبيب، المرجع السابق، ص94.

كما تختلف قيمة الفدية من سنة إلى أخرى على حسب الندرة والكثرة والطلب والعرض وكذا حالة الأسير الاجتماعية والصحية، وقد أعطى مثالا على ذلك دوغرامون بقوله: "في سنة 1541 بعد الحملة التّي قام بها شارل الخامس ضد الجزائر بيع العبيد ببصلة كدليل على انخفاض قيمة الأسرى، وتؤكد سجلات الدولة الأمريكية أنّ الداي رفض عرضا أمريكيا لشراء أسراها، وأكد أنّه غير مستعد لبيعهم، فهو في حاجة إليهم خاصة مع تناقص عدد الأسرى في المدينة"[1]، ما يدل على ارتفاع قيمة الأسرى، كما أنّ قيمة الفدية كانت تخضع حتى إلى نوعية العلاقة التّي كانت تربط بين البلدين، فمثلا فرنسا دفعت 150 سكة للرأس، أما إسبانيا فقد دفعت مبلغ 700000 قرش[2]، وقيمة الفدية كانت تحدد من قبل الداي.[3]

هناك عدة عوامل تدخل في تحديد قيمة الفدية كالظروف الدبلوماسية، والمستوى الاجتماعي والكفاءة المهنية[4]، إضافة إلى الأوبئة والمجاعات التّي مست الجزائر وأثرت في قيمة الفدية حيث ارتفعت إلى ثلاث أضعاف عكس ما كانت عليه. [5]

وغيرها من العوامل الشّخصية، حيث بلغت فديات بعض الشّخصيات الإسبانية الكبرى مبلغ 30 ألف قرش إسباني[6]، كما أثر تقلص النشاط البحري نتيجة الحملات الإسبانية والأوروبية في قيمة الفدية، ومن أمثلة ذلك الحملة الإنجليزية الثانية في الجزائر في 1816، والتّي قام من خلالها الأدميرال الإنجليزي بتحرير جميع الأسرى المسيحيين دون أن يدفع أية فدية والبالغ عددهم 1606 أسير. [7]

---

(1) بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1641-1830)، المرجع السابق، ص206.

(2) Venture de Paradis, Algeria Ou XVI éneSiécle, édition Bouslama, Tunis, 1980, p52.

(3) ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص159.

(4) المنور مروش، المرجع السابق، ص210.

(5) بوعلام صفاح- عبد القادر دوحة، المرجع السابق، ص349.

(6) المنور مروش، المرجع السابق، ص210.

(7) بوعلام صفاح- عبد القادر دوحة، المرجع السابق، ص350.

- لواحق الفدية:

تكونت مبالغ الفداء من سعر الأسير إضافة إلى تكاليف إضافية ملحقة بها، والتّي تمثل حقوق إضافية، حيث يستفيد المالك للأسير من مبلغ الافتداء، أما الأموال الإضافية الأخرى فتستفيد منها خزينة الدولة، وهي عبارة عن حقوق وهدايا، فبالنسبة للأسرى الخواص عند تحريرهم يدفع مبلغ الفدية للمالك والمبالغ الملحقة لأجهزة الدولة المختلفة وتمثلت في: حقوق قفطان الباشا، حقوق أمانة الدولة، حقوق رئيس الميناء، حقوق حارس أبواب السجن، وعادة ما تتساوى هذه الحقوق ثمن فدية أخرى.

أما بالنسبة لأسرى البايلك، فقد فرضتا اللواحق في شكل هدايا، وأورد دفتر التشريفات معطيات تبين التكاليف الملحقة بالفدية والتّي ألزم بها الرهبان الإسبان وتمثلت في: تقديم هبات على ستة من الأسرى المفتدين من بين المسنين وحددت بـ1000صايمة ما يعادل 36 فرنك فرنسي عن كل أسير مسن، هدية آغا الجماعة المكلف بالسجن (دار السركاجي) قدرت بـ 1000 صايمة[*] على كل أسير مسن حقوق الباشا وحقوق الأمين المسمى بـ"خوجة الدفتر" والمكتابجي والرقمنجي[1]، يتلقى واحد منهم هدية تقدر بـ1000 صايمة تمثل فدية أربعة أسرى، هدية صاحب خزينة الديوان (الخزناجي)، وتتلقى خزينة البايلك 2000 صايمة عن كل أسيرين محررين، إضافة إلى هدية قائد الجيوش البرية والبحرية وقدرت قيمتها بـ1000 صائمة لكل أسير، وهدية خوجة الديوان (موظفتان) يتلقى كل واحد منهما هدية تقدر بـ1000صايمة عن فدية كل أسير.

اختصارا يجب تقديم عن كل أسير 43 ريال كهدية قبل الحصول على رخصة الخروج من القصر، كما ينبغي تقديم هدايا للباباشي المكلف بالذهاب للسفن، وكذلك أمناء

---

[*] **الصايمة**: هي قطع صغيرة الحجم، تستخدم للصرف ودفع الرواتب وتساوي خمسون أسير، والأسير عبارة عن نقود صغيرة فضية 15 قطعة منها تساوي 01 ريال إسباني، ينظر: يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص132.

[1] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص67-68.

الديوان الأربعة (خوجة المكتبجي، خوجة الدفتر، خوجة الرقمنجي)، وكذلك إلى قائد الميناء وأمين الغنائم وكتاب البحرية وقائد المدينة. [1]

وعندما ينتهي كل شيء وتدفع الفدية ولواحقها يسلم الأسير إلى المبعوث وتدفع الفدية ولواحقها يسلم الأسير إلى المبعوث ويعطى له معطفا أبيض كرمز لتوبته، وبعدها يأخذ رجل الكنيسة أو القس كل الأسرى المفتدين إلى البلدية وتصدر لهم شهادة الحرية، يتجه إلى الداي ليأخذ الإذن بالمغادرة من الجزائر، وتستخلص 10% إضافية قبل أن يسمح لهم بالمغادرة. [2]

[1] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص68.

[2] ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص159.

المبحث الثاني: ظروف وصعوبات الافتداء وشروطه

كانت مداخيل الجهاد البحري تأتي من ثلاث مصادر أساسية ألا وهي حمولات السفن بالغنائم التّي تؤخذ من عرض البحر، أو الجزيات التّي تدفعها الدول الأوروبية تحت تدابير ثنائية وشكلية لحماية سفنها، ومبالغ افتداء الأسرى، وكانت عملية الافتداء عملية صعبة ومعقدة ترتبط بطبيعة العلاقات بين إيالة الجزائر والدول الأوروبية، والحصول على الأموال اللازمة لذلك، كما أنّه يجب على البعثة التّي تقوم بعملية الفداء أن تحصل على وثيقة الجواز الرسمية التّي بدونها يتعذر الوصول إلى البر الجزائري والتّي تتضمن شروط تضبط وتنظم عملية الافتداء.

أولا- ظروف وصعوبات الفداء:

شكلت مبالغ الافتداء الأسرى أوسع قسم من مدخولات القرصان، وذلك من خلال سعرهم الأول بعد افتداءهم[1]، فقد كانت هناك عدة صعوبات عرقلت عملية افتداء الأسرى في كثير من الأحيان نتيجة العلاقات الجزائرية الأوروبية، ولعلّ أبرز مثال على ذلك هو العلاقات الإسبانية التّي غلب عليها طابع من التوتر والعداء شبه الدائم الذّي امتد من القرن 16م إلى غاية 1830، كرغبتهم في مد نفوذهم على الشاطئ الجزائري ضمن مشروعهم التوسعي الاستعماري، وإحكام الطرق على عمليات الجهاد لنصرة الموريسكيين، ومحاولتهم عرقلة نشاط البحرية الجزائرية المضادة للمصالح الإسبانية، والتّي ترجمت في شكل هجمات عسكرية مترددة مثل حملة شارل الخامس 1541، حملة الكونت أوريلي1775 إلى غاية انسحاب الإسبان من وهران 1792. [2]

ولعلّ أبرز ما يوضح طبيعة العلاقة بين الاثنين ما حدث في النّص الأول من القرن السادس عشر، حرين رفض خير الدين بربروس فداء جماعة من أعيان إسبانيا

---

[1] ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص156.

[2] حنيفي هلايلي، "القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، ع 04، 2003، ص246.

وكان من بينهم مقدم العسكر والأجفان، حيث أنّ ملك إسبانيا وجه إلى الحصن المجاور للجزائر بأن يبعث والي خير الدين في شأن فداء رؤساء الأسرى وكان عددهم ستة وثلاثين أسيرا، على أن يدفع له لرحلة أهل الحصن مائة وعشرون الف دينار ذهبيا، حيث جمع خير الدين الفقهاء واستفتاهم في القضية، فاتفقت فتواهم على عدم جواز فداء هؤلاء الأسرى بالمال لأنّهم من أعيان النصارى وزعمائهم يتقوى بهم عدو المسلمين. [1]

كما قد تؤدي العلاقات السيئة بين القناصل الأوروبيين والدايات إلى اشتداد الوطأة على الأسرى، ومن أمثلة ذلك ما قام به الداي إبراهيم في 1731م بأن يسلسل جميع الأسرى ويضربون ويبعث بهم إلى العمل الشاق في حجارات مدينة الجزائر حتى حصول الموافقة على مبلغ أعلى للافتداء، وذلك لما غضب من جراء إصرا قناصل فرنسا وإسبانيا على أنّ الأسرى يجب أن يرجعوا لبلدانهم تحت مقتضيات معاهدة السلم بين الجزائر وفرنسا وإسبانيا[2]، إضافة إلى صعوبة عملية جمع أموال الفداء اللازمة لتحرير الأسرى، حيث كان رجال الدين يعتمدون على الهبات والصدقات إضافة إلى أموال أولياء الأسرى بعد الحصول على الإذن من الملك الإسباني، وتخضع عملية جمع الأموال لرقابة صارمة من المجلس الاستشاري، وصعوبة رحلة الفداء في البحر الجزائري في ظل حالة التوتر مع الحكومة الجزائرية. [3]

وهناك إضافة إلى الصعوبات التّي كان يواجهها الأرقاء في الجزائر، ذلك أنّ بعضهم كان يطلق سراحهم بفضل جهود التجار الذين كانوا يشترطون على الرقيق أن يوافق على دفع جزء من مبلغ النقود للفداء أو كله، عندما يعودون إلى بلدانهم، ولكن ما يحدث غالبا أنّ الفقراء لا يستطيعون توفير النقود عند العودة إلى بلدانهم، فكان حالهم في سجون أحد الدائنين أسوأ من حالهم في الجزائر، إذ كانوا يتمتعون بحرية الحركة.[4]

---

[1] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص74.

[2] ويليام سبنسر، المرجع السابق، ص159.

[3] حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص247.

[4] جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص219.

ثانيا- شروط الافتداء:

إلى جانب الصعوبات الإجرائية لإعداد رحلة الفداء، فإنّ هناك شروطا متعلقة بافتداء الأسرى، منصوص عليها في "وثيقة الجواز الرسمية" والتّي بدونها يتعذر الوصول إلى البر الجزائري، تتكون هذه الوثيقة من سبع صفحات من الحكم العادي، وهي مترجمة من الوثيقة الأصلية (باللغة التركية) إلى اللغة الفرنسية، وهي عبارة عن نسخة للجواز (Passeport) وهو الترخيص الرسمي الذّي منحه داي الجزائر محمد باشا (1748-1754) للبعثة الدينية الإسبانية المنتسب لمجموعة الثالوث المقدس والراغبة في القيام بعملية فداء عدد من الأسرى الإسبان المحتجزين بالجزائر، وجاء مضمون الوثيقة ليحدد شروط الفداء ونص على ما يلي[1]:

- العملة التّي يستقدمها الآباء تكون من فئة 4 بستول (Pistole) وهي عملة ذهبية إسبانية.
- دفع رسم جمركي بقيمة 3% من أموال الفداء، كما يدفع الأسرى الذين يتم فداؤهم 40 قرشا مكسيكيا (Piastre) لكل رأس عند المغادرة و17 قرضا عند إزالة القيود.
- تدفع السفينة التّي تحمل الآباء والأسرى 40 قرشا عند الرسو.
- يحدد ثمن عبيد القصر 1000 قرش مكسيكي، وعبيد المطبخ 500 قرش، الحرفيين والنجارين والحدادين 450 قرش، والعاملون بالقوافل والبساتين 300 قرش، من ليست لهم مهنة 240 قرش.
- يدفع الآباء القائمون بالفداء رسوم نقدية بمجرد تسديد الأثمنة لموظفي الممتلكات، مثل ترجمان القيصر 30 قرش، طائفة الصيادين 18 قرش، القافلة 6 قروش... الخ. [2]

وهناك شرط آخر هو أنّ رجال الدين ملزمون دائما بافتداء النساء والأطفال بالأفضلية، بحيث لا يجعلهم ضعف جنسهم وعمرهم أن يستسلموا لتغيير دينهم.

---

[1] هلايلي حنيفي، المرجع السابق، ص248.

[2] نفسه، ص248.

وتجدر الإشارة إلى أنّه لا يمكن فداء أي من أسرى البايلك الذين يعملون في ورشات الصناعة البحرية بحيث يبقون طواعية في الجزائر، بالإضافة إلى ذلك فإنّ المخلصين الذين اشتروا جميع أسرى أمتهم ولايزال لديهم من المال فإنهم مضطرون إلى شراء أسرى مسيحيين آخرين مهما كانت أمتهم أو ديانتهم. [1]

[1] Laugier de tassy, Histoire de zoyaumel'alger, chez Henri de sauzet, 1837, p28-284.

الفصل الثالث

أساليب وطرق افتداء الأسرى الأوروبيون

المبحث الأول: طرق افتداء الأسرى الأوربيون

أولا: الافتداء الذاتي

ثانيا: الافتداء عن طريق منظمات الفدية الدينية

ثالثا: الافتداء عن طريق المعاهدات والحملات البحرية

رابعا: دور القناصل والتجار واليهود في افتداء الأسرى

المبحث الثاني: مصير الأسرى الذين لم يتم افتداؤهم

أولا: مفهوم العتق

ثانيا: الأعلاج في الجزائر خلال العهد العثماني

شكلت مسالة افتداء الأسرى دورا محوريا في العلاقات الجزائرية الأوروبية، حيث قامت هذه الدول بمختلف الأساليب والطرق لتحرير أسراها من الجزائر، وكانت أغلب المعاهدات التّي عقدت بينها تنص في بنودها إما على تحرير أسراها أو القضاء على نشاط البحرية.

وقد شارك في عملية تحرير الأسرى الملوك، أقارب الأسير، ورجال الدين، إضافة إلى وساطات اليهود والقناصل، فمنهم من كان يفتدى عن طريق دولته، وغالبا ما يكونون من الوجهاء والمسؤولين الكبار، ومنهم من كان يفتدي نفسه، ومنهم من كان يفتدى عن طريق رجال الدين والمنظمات الدينية.

وقد ذكرت المصادر التاريخية مواقف كثيرة تدل على تسامح الجزائريين وإنسانيتهم مع الأسرى، ما دفع بهؤلاء إلى اعتناق الإسلام طواعية، عكس ما روج له من قبل الأوربيين واندمجوا في المجتمع الجزائري وقدموا إضافات كبرى له.

المبحث الأول: طرق افتداء الأسرى الأوربيون

شهدت عملية افتداء الأسرى الأوربيون في الجزائر تطورا كبيرا خاصة في النصف الثاني من القرن 16م، وكانوا يتحصلون على حرياتهم بمختلف الطرق، فقد كان العديد من الأسرى يفتدون أنفسهم بأموالهم الخاصة كما كان هناك عدة منظمات دينية متخصصة في افتداء الأسرى مثل منظمة الثالوث المقدس، منظمة سيدة الرحمة...الخ، تتكفل بمصاريف تحرير هؤلاء الأسرى، ومنهم من تم افتداؤه عن طريق إبرام المعاهدات الثنائية بين الدول، إضافة إلى دور التجار والقناصل في افتداء الأسرى المسيحيين في إيالة الجزائر.

أولا: الافتداء الذاتي

كان هذا النوع من الافتداء رائجا في الجزائر، حيث كان يمكن للأسير أن يجمع أموال فديته بسهولة خاصة أولئك الأسرى التابعين لأثرياء المدينة وكبار الشّخصيات.

ولقد تم رسميا الافتداء الذاتي في الجزائر عندما تم عقد المعاهدة الجزائرية الفرنسية في 07 جويلية 1640 في بندها الحادي عشر وتم الاتفاق على: "إنّ الفرنسيين الذين لا يزالون هنا كأرقاء والمسلمين الذين أخذوا من على ظهر الأجفان الاسبانية والموجودين في فرنسا (في نفس الوضع)، فإنه سيتم بعون الله تحريرهم، في أجل قصير، وفي انتظار ذلك، فإن وجد من بين الفرنسيين الباقين هنا من يريد افتداء أنفسهم، فإنهم يستطيعون ذلك بدفع الثمن الذّي اشتروا به لأسيادهم"[(1)]، لذا هناك العديد من الأسرى الذين تخلصوا من الأسر بعد أن وفروا نقودا افتدوا بها أنفسهم، فعلى سبيل المثال استطاع الأسير تيدنا شراء حريته من باي معسكر نفسه، باعتباره وزيره الشخصي، الأمر الذّي سهل عليه جمع أموال فديته، وبعد أن سلمها للقنصل الفرنسي قام هذا الأخير بإجراءات تحريره، رغم رفض الباي، وبعد عرض الباي الأمر على الداي، أجابه "أننا لا نستطيع

(1) جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007، ص271.

الاحتفاظ بالأشخاص الذين ينتمون لهذه الأمة (فرنسا)"، وبعد محاولات نجح القنصل في تحرير الأسير تيدنا.[1]

لم يقتصر الافتداء الذاتي على الفرنسيين فقط، ومن أمثلة ذلك الأسير البرتغالي "دان فرانسيسكو دو ماسكاروناس Don Francisco de Mascarenes" الذّي أسر سنة 1641 من قبل أحد قراصنة الجزائر وأصبح ملكا لمراد باشا، وقد تمكن من فداء نفسه والحصول على حريته بأن دفع لمالكه مبلغا كبيرا قدر بـ4000 دوقة.[2]

أما الأسرى من الطبقات الفقيرة، فقد مارسوا بعض الأعمال التّي تسمح لهم بتوفير ثمن فدائهم، كالعمل في الخمارات والملاهي الموجودة على مستوى أسرى السجون، وفي هذا السياق يذكر كاثكارت أنّ سلطات مدينة الجزائر، كانت تسمح للعديد منهم بممارسة أعمالهم فيها مقابل مبلغ مالي يقدر بدولار واحد في الشهر.[3]

ولعلّ أبرز الفديات الشّخصية غرابة تتعلق بأسير إسباني اشتراه أحد العلوج الّأثرياء (وهو شعبان آغا) بسعر زهيد، بعدما أقام هذا الأسير مدة معينة مع سيده، طلبه قائلا: "لقد دفعت من أجل شرائك مائة وخمسين Patagon، فإن أردت، عدني بدفع المبلغ إلى والدي بإسبانيا وسوف أطلق سراحك، وأسمح لك بالذهاب إلى وطنك مع أوّل قرصان"، فقبل الأسير بالعرض وعاد إلى وطنه وباع كل ممتلكاته وسدد ثمن فدائه وحريته كما تم الاتفاق عليه، كانت فرصة منحها للأسير رأفة به لأنّه كان فقيرا ولا يمكنه تسديد فديته.[4]

ثانيا: الافتداء عن طريق منظمات الفدية الدينية

اعتبرت الكنيسة دائما أنّ افتداء الأسرى واجب مقدس، تفرغت لأدائه جمعيات مثل جمعيات الثالوثيين (الثالوث المقدس) وجماعة نوتردام دي لامرسي (منظمة سيدة

---

(1) أحميدة حميراوي، المرجع السابق، ص116.

(2) حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص15.

(3) جيمس لندر كاثكرت، المصدر السابق، ص58.

(4) حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص15.

الرحمة)[1]، أشرفت هذه المنظمات على أهم عمليات الفداء في الجزائر، ومنحت لها لكل الصلاحيات الإدارية من قبل السلطة الجزائرية، ونشطت بالأخص في إسبانيا وفرنسا.[2]

1- منظمة الثالوث المقدس:

تعتبر منظمة الثالوث المقدس أكثر منظمة دينية لافتداء الأسرى نشاطا في العالم الإسلامي، أسست على يد القديسين جون دوماتا Jean de Matha[*] وفليكس دوفالو Félix deValois سنة1198، وسميت منظمة الثالوث المقدس وافتداء الأسرى Order of the Holy Trinity and redemption of captives.

وعلى حد تعبير أصحابها تأسست بوحي من الله (الإرادة السماوية)، فحسب رواية الأب دان فإنّ القديس حون دوماتا رأى في منامه ملكا في صورة مشعة يرتدي قميصا أبيض، ويحمل على صدره صليبا نصفه أحمر والنصف الآخر أزرق اللون، وعلى جانبيه يجلس أسيرين، يبدو من خلال هيئتهما أن الأول مسيحي والثاني تركيا، ورأى حركة دائرية يقوم بها هذا الملك تشير إلى استبدال الأسيرين الواحد بالآخر، كما شاهد فيلكس دوفالو هو أيضا بعض الرؤى توحي بنفس الغرض، ومن هذا المنطلق تأسست الجمعية بمباركة البابا (أنوسونت الثالث Innocent III).[3]

كان مقر هذه المنظمة في فرنسا، وكان لها ممثلون في جميع بلدان المغرب، ويعرف أعضاء هذا التنظيم باسم التنظيم التثليثي وباسم الماثوريين نسبة إلى كنيسة القديس ماثورا.[4]

---

(1) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس- الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، محمد مزالي- البشير سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص359.

(2) بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون، المرجع السابق، ص188.

(*) **جون دوماتا:** قديس فرنسي الأصل، تلقى تعليمه في إيكس Aix، درس علم اللاهوت بجامعة باريس، وتحصل على شهادة الدكتوراه، أحد مؤسسي منظمة الثالوث المقدس، ينظر: حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص33.

(3) حفيظة خشمون، المرجع نفسه، ص32-35.

(4) خديجة حالة، المرجع السابق، ص17.

ركزت المنظمة في بداية نشاطها على الفدية والإرساليات خلال الفترة الحديثة، والتّي نشطت في شمال إفريقيا، وقامت بإجراء تعديل جذري بعد العديد من المحاولات في فرنسا والبرتغال خلال القرن السادس عشر وتم ربطها بإسبانيا أكثر في 20 أوت 1599[1]، وبعد أربعين سنة من إنشاء هذا التنظيم أصبح له سنة 1789/ 150 فرعا منتشرا في العالم على شكل مؤسسات وأديرة، وكان له أكثر من ستمائة مقر.[2]

وتؤكد الحقائق أنّ ثلث واردات المنظمة كانت عبارة عن توسلات للرهبان،كما تم الاعتماد على واردات أخرى مهمة مثل: الهبات، الوصايا، والإيجار، والكثير من العائدات التّي كانت تجمع من قبل منخرطي التنظيم والمحاولات الفردية- عامة السكان- ونشطت هذه المنظمة أكثر في تونس والجزائر، ومن خلال المستشفيات الثالوثية.[3]

ومن أمثلة ما قامت به المنظمة من نشاط في الجزائر ما قام به الأب أنطوان والأب أندريه في 1619 بافتداء جورج ماسكرناس مع عائلته ومن معه، وفي سنة 1621 قام الأب أنطوان بعملية فدائية ونظرا لعدم توفر المال الكلي للفدية حبس في الجزائر لمدة عام، ثم تم افتداؤه وافتداء 77 أسيرا معه، كما قام الأب لويسيان بافتداء 55 أسيرا، وفي 1720 تم افتداء 62أسير.[4]

فقد قدم لنا غرامون، الذّي اعتمد على إحصائيات هايدو رقما خياليا، حيث يقر بأن أصحاب هذا التنظيم قد تمكنوا سنة 1634 من افتداء 37720أسيرا.[5]

---

(1) بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830)، المرجع السابق، ص189.

(2) خديجة حالة، المرجع السابق، ص17.

(3) بلقاسم قرباش، المرجع السابق، ص190.

(4) مهدي تلالي- داود بوقرة محمد، افتداء الأسرى الأوربيون في إيالة الجزائر من خلال المصادر الأجنبية، مذكرة لنيل شهادة التعليم المتوسط في التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار بقسنطينة، 2018-2019، ص86.

(5) حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص71؛ ينظر للملحق رقم03.

2- منظمة سيدة الرحمة L'ordre De Notre Dame De La Meaci:

تأسس هذا التنظيم في 10 أوت 1218 من طرف القديس بير نولاسك (Pierre Nolasque) وريمون دوبينافور (Roymonde de Pénafort) تحت رعاية ملك أرغونة جاك الأول (Jacque I) واعترف بهذا التنظيم رسميا بابا غريغوار التاسع (Grégoire IX) في 17 جانفي 1235، ويوجد في هذا التنظيم الكلمة الفرنسية Merci وتعني Graceأي شكر، رحمة أو رأفة وقد تكون مشتقة من الكلمة اللاتينية Merces والتّي تعني فدية[1]، هذا التنظيم إيطالي المنشأ، وكان له تاريخ طويل في الافتداء من قبل ممثليهم في شمال إفريقية[2]، وأبرز عمل قامت به المنظمة في الجزائر هو افتداء الكاتب الإسباني الشهير سيرفانتس[*] في 1577[3]، إضافة إلى افتداء 70 أسيرا في 1644 من قبل الآباء فرنسوا فور، وفرنسوا فانيزانو سبيستيان بروجير توليدو، كما قام الأب جوزيف توليدو بافتداء 293 أسيرا مسيحيا من بينهم إسبانيين، برتقاليين، وإيطاليين، وفي سنة 1646 تم افتداء 150 أسيرا، كما قامت مجموعة من آباء تنظيم الرحمة في 1750 بافتداء 66 أسيرا.[4]

إضافة إلى الدير الذّي قامت ببنائه طائفة سيدة الرحمة الفرنسية وأشرف عليه كبير القساوسة في الجزائر، يساعده أربعة أشخاص أقل منه درجة، وواجبهم مساعدة الأسرى وإقامة الصلوات والوعظ والإرشاد والتوجيه الروحي، وأوكلت إلى هذا الدير حماية الأسرى خلال الغارات الأوروبية على الجزائر، فكانوا يرسلون مقيدين بالأغلال إلى الأرياف.[5]

---

[1] حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص38.

[2] خديجة حالة، المرجع السابق، ص18.

[*] **ميغل دي سيرفانتس سآفيدار:** (1547-1616)، شاعر ومسرحي إسباني مشهور، التحق بجيش التحالف المقدس في 1570، وشارك معهم في عدة معارك كمعركة ليبانتو ونافارين 1572، حلق الوادي بتونس 1573، أسر من قبل الرايس الجزائري مامي أرنوط في 1575 وأسر لمدة 5 سنوات، ينظر: محمد عبد الكريم أوزغلة، شهادات الأسر ومشاهد الكتابة ميغل دي سيرفانتس في الجزائر 1575-1580، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص18-28.

[3] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون، المرجع السابق، ص191.

[4] مهدي بلالي- داود بوقرة محمد، المرجع السابق، ص86-87.

[5] جيمس ليندر كاثكارت، المصدر السابق، ص104.

وقامت منظمة الرحمة بين 1516 و1602بـ73 مهمة افتداء، افتدت فيها 12500 أسير بمتوسط 171 في كل مهمة و140سنويا.[1]

وخلال الفترة الممتدة ما بين 1218-1632 نجح في افتداء حوالي 37736 أسير مسيحي.[2]

لعبت منظمة سيدة الرحمة دورا كبيرا في الجزائر من خلال نشاطها في افتداء الأسرى الأوروبيين.[3]

3- التنظيم اللازاري L'ordre Lazariste:

تأسس هذا التنظيم على يد القديس فانسان دي بول Vencent de Baul سنة 1624، واعترف البابا به سنة 1632، تجلت على نطاق واسع خلال القرن 17م، وقد تأثر فانسان بالحالة التّي يعيشها الأسرى الأوروبيون الذين لم يسعفهم الحظ في نيل الفداء[4]، حيث عمل على إعانة النصارى المساكين أسرى البرابرة روحيا وماديا، المرضى منهم والأصحاء وذلك بالزيارة والصدقة والتعليم والقيام بالطقوس المقدسة.[5]

شكل القديس فانسان نخبة من المبعوثين والمبشرين ولتنسيق جهود هذه النخبة قام بإنشاء جمعية القساوسة تحت اسم التنظيم اللازاري سنة1633، وكان يرسل قساوسة لازاريين للإقامة في شمال إفريقية إلى جانب القناصل بصفتهم كهان للكنيسة[6]، لكن قنصل مدينة الجزائر رفض وجود كاهن إلى جانبه ما دفع الأب فانسان إلى إقناع الدوقة ديغيون (La duchesse d'Aigillon) بشراء القنصلية في الجزائر من فياس في 1646 والقنصلية في تونس 1648 وتقديمها إلى الآباء اللازاريين.[7]

---

(1) المنور مروش، المرجع السابق، ص206.

(2) حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص74.

(3) ينظر للملحق رقم 04.

(4) حفيظة خشمون، المرجع نفسه، ص40.

(5) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص360.

(6) حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص42.

(7) جون -ب- وولف، المرجع السابق، ص296.

وبقدوم الطائفة اللازارية إلى الجزائر وبتفويض من البابا وتعيين قنصلي من فرنسا أثار سخط القساوسة الإسبان والإيطاليين كطائفة الثالوث بالمقدس ومنظمة الرحمة التّي كانت تسيطر على الحياة الروحية وافتداء الأسرى[1]، وقد نجح اللازاريون في بإدخال الفكرة الدينية في السياسة بالفرنسية وظلوا لفترة يقومون بمهمة القناصل الفرنسيين في الجزائر، ويتدخلون في المفاوضات المتعلقة بالأسرى.[2]

كما كان هناك تنظيمات أخرى تعمل في سلك الفداء: كتنظيم وردة المسيح، وتنظيم القداس دومينيك، منظمة فرسان مالطة، وغيرها، إلا أنّ دورها كان محدودا في الجزائر مقارنة بالتنظيمات الثلاث المذكورة سابقا.[3]

ثالثا: الافتداء عن طريق المعاهدات والحملات البحرية

1- المعاهدات:

تعد مسألة الأسرى الأوروبيون وافتدائهم من المسائل الكبرى التّي تضمنتها بنود المعاهدات الجزائرية الأوروبية، وسنعرض نماذج منها فيما يلي:

أ- افتداء الأسرى في المعاهدات الجزائرية الفرنسية:

قامت فرنسا بتوقيع معاهدة الامتيازات بينها وبين الباب العالي، بالاستانة في فيفري 1536، وأصبحت أوّل دولة أوروبية تملك امتيازات لرعاياها داخل الإمبراطورية العثمانية، ونصت هذه المعاهدة في بندها العاشر على ما يلي: "التزام الطرفين بإطلاق سراح أي أسير تابع لهما بطلب من القنصل أو السفير أو أي شخص آخر مخصص لذلك، سواء كان ذلك بشرائهم أو أسرهم وقت الحرب، فيتم تحريره حتى لو غير دينه"، هذا واشترط الملك الفرنسي في البند الثالث عشر من المعاهد نفسها، أن يكون للبابا وملك

---

[1] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون، المرجع السابق، ص191.

[2] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص120.

[3] حفيظة خشمون، المهمة السياسية والعلمية الفرنسية بالجزائر في القرن 18م من خلال نماذج "لوجي دو طاسي، فونتير دو بارادي، باصونال وديفونتين"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة عبد الحميد المهري بقسنطينة، 2020-2021، ص48.

إنجلترا أخيه وحليفه الايدي، وملك إيقوسيار (إسكتلندا) الحق في الاشتراك بمنافع هذه المعاهدة لو أرادوا بشرط أنّهم يبلغون تصديقهم عليها إلى جلالة السلطان العثماني، وهذه المعاهدة خصت الإيالات التابعة للدولة العثمانية بما فيها الجزائر.[1]

وتم تمديد هذه المعاهدة في عامي 1581 و1604م، من قبل الحكومة الفرنسية، أما حكام مدينة الجزائر فقد انتهجوا سياسة مستقلة بخصوص التعامل مع فرنسا بالرغم من التهديدات المستمرة من الباب العالي[2]، الأمر الذّي دعل فرنسا تقرر الدخول في علاقات مباشرة مع الجزائر من خلال عدة اتفاقيات تناولت مختلف القضايا العالقة بين البلدين وعلى رأسها قضية افتداء الأسرى[3]، واتضح ذلك في معاهدة 21 مارس 1619 التّي نصت في بنودها على أنّه إذا حدث وساق أحد القراصنة أسرى فرنسيين إلى السواحل الجزائرية، فأنّه يتم إطلاق سراحهم في الحال، وعدم التعرض للسفن والمراكب الفرنسية، كما نصت على عدم تفتيش السفن الفرنسية من قبل قراصنة الجزائر، وأن يتم إطلاق سراح جل الفرنسيين من أي منطقة كانوا، الذين قبض عليهم تحت راية فرنسا، كما يتم إطلاق سراح جل أسرى مملكة الجزائر بفرنسا.[4]

أما معاهدة 19 سبتمبر 1628 كانت تتميما لمعاهدة 1619، تمكنوا خلالها من تحرير عدد كبير من الأسرى الفرنسيين واستعادة ثلاثة مراكب محلة بالحرير وسلع أخرى، كما تناولت المعاهد كذلك مسألة اعتناق الفرنسيين للإسلام، إذ لا يجوز إرغامهم على ذلك، إضافة إلى معاهدة 07 جويلية 1640 التّي عالجت قضية تبادل الأسرى بين الجزائر وفرنسا.

---

(1) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص223-229.

(2) جمال قنان، المرجع السابق، ص45.

(3) حفيظة خشمون، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص20.

(4) عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1984-1985، ص44-45.

فبالنسبة لمعاهدة 25 أفريل 1684 فقد تطرقت إلى وضعة الأسرى الفرنسيين بالجزائر، وكانت تهدف إلى وضع حل نهائي لقضية الأسرى ومشكلة القرصنة، حيث نصت المادة الرابعة على ضرورة تبادل الأسرى الموجودين عند كلتا الدولتين، ونصت المادة الثامنة على أن يتم إطلاق سراح كل الأسرى الفرنسيين الذين أسروا من قبل أعداء فرنسا واقتيدوا إلى الجزائر، والمادة التاسعة نصت على إلزامية إعطاء الداي أوامر بجمع الأسرى الفرنسيين المتواجدين بالإيالة ليتم شراؤهم من طرف القنصل الفرنسي، ونفس التسهيلات تتم في فرنسا.[1]

لعلّ تخصيص جل بنود هذه المعاهدة لقضية تحرير الأسرى يؤكد عجز الطرفين على تسوية الأمر عن طريق المعاهدات السابقة، والذّي يفسر أساسا عدم التزامهما بتنفيذ ما نصت عليه بنودها من جهة، والتوتر الذّي يصيب علاقات البلدين من جهة أخرى.[2]

ب- افتداء الأسرى في المعاهدات الجزائرية الإنجليزية:

جاء في مختلف الدراسات أنّ الملوك الإنجليز لم يهتموا كثيرا بفداء رعاياهم، وقد برروا ذلك بحجة أنّ إنقاذهم لهم سيقنع البحارة الجزائريين بأن أسر الإنجليز مغامرة تجارية رابحة، فالافتداء- حسب رأيهم- يشجع النهب[3]، ولم تكن لها علاقات مع إيالات شمال إفريقيا حتى منتصف القرن السابع عشر[4]، وبدأت علاقات الجزائر مع إنجلترا سلمية إيجابية قائمة على أساس التعاون ويسودها الوئام طوال قرون، هذا رغم الغارات البحرية التّي كانت تقودها إنجلترا ضد الجزائر[5]، وتم عقد معاهدة سلام بين الجزائر والإنجليز في 1622 وتعيين قنصل إنجليزي، وتعتبر هذه المعاهدة بالقاعدة التّي تركز

---

(1) جمال قنان، المرجع السابق، ص64-295-197.

(2) حفيظة خشمون، المهمة السياسية والعلمية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص23.

(3) حفيظة خشمون، مهام مفتدي الأسرى، المرجع السابق، ص23.

(4) المبروك محمود صالح سليمان، "جهود الأوربيين في تحرير أسراهم بإيالة طرابلس الغرب 1551-1832"، مجلة كلية الآداب، جامعة محمد المختار بطبرق، ع37، 2014، ص645.

(5) مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ط1، ج1، دار البعث، الجزائر، 1985، ص181.

عليها جميع اتفاقيات البلدين، لكنها لم تكلل بالنجاح لتثبيت السلام بين الطرفين، وكان الإنجليز السباقين في نقضها.[1]

في 1646 عقدت معاهدة جديدة، ولم تكن سوى تأكيد للتي سبقتها وجاء نتيجة تزايد عدد الأسرى الإنجليز مما دفع بأهاليهم بالضغط على الحكومة الإنجليزية لافتدائهم، فقام القنصل الإنجليزي إدمون كاسن بإبرام هذه المعاهدة الّتي نصت على عدم الإساءة للمراكب الإنجليزية في الجزائر بالإضافة إلى حقوق الجالية الإنجليزية في الجزائر، وقد قام بتحرير 246 أسير إنجليزي خلالها.[2]

قدم لنا المؤرخ مولود قاسم نايت بلقاسم المعاهدات الّتي عقدت بين الجزائر وإنجلترا، وأثبتها بتواريخها والأطراف الّتي أمضتها، إلا أنّه لم يتعرض لبنود تلك المعاهدات ماعدا معاهدة السلم المنعقدة في 10 أفريل 1682 بين الداي بابا حسن وملك بريطانيا شارل الثاني، رد فيها الجزائريون أسراهم الذين كانوا على أسطوله، بدون أن يطالب مقابل ذلك باسترجاع مواطنيه الذين كانوا في سجون الجزائر.[3]

أما المعاهدة الّتي أشار إليها أحمد الشريف الزهار في مذكراته دون أن يذكر تاريخها فقال: "بعد الكارثة البحرية الجزائرية عقدت المعاهدة، وتوجت بإطلاق سراح 1200 أسير منهم أسرى إمارتي: نبولي وسردينيا، الذين أطلقوا مقابل دفع 2500 فرنك فدية لكل أسير نابوليطاني و1500 فرنك فدية لكل أسير سرديني.[4]

ج- افتداء الأسرى في المعاهدات الجزائرية الإسبانية:

تميزت العلاقات الجزائرية الإسبانية خلال العهد العثماني بالعداء طيلة ثلاثة قرون، وعملت إسبانيا كل ما في وسعها لتحرير أسراها من قيود الأسر في مدينة الجزائر، وبعد محاولات كثيرة توصلت إسبانيا في الأخير إلى عقد اتفاق مع الجزائر في

---

(1) أمين محرز، المرجع السابق، ص48.

(2) جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص305.

(3) مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص18-190.

(4) أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1754-1830)، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص128.

أكتوبر 1768[1]، واتفقوا على تبادل الأسرى الموجودين عند الجانبين، واشترط الجزائريون أن تطلق إسبانيا جميع ما لديها من الأسرى، مقابل أنّها تستطيع افتداء الأسرى الإسبان الذين بالجزائر، وهكذا أطلقت إسبانيا سراح 1200 أسير مسلم كانوا مستعبدين في بؤر التجديف بالسفن وأطلق الجزائريون سراح 712 أسير إسباني.[2]

كما تم عقد معاهدة سلم وصداقة بين محمد عثمان داي الجزائر والدون كارلوس الثالث ملك إسبانيا في 14 جوان 1786 بعد قبوله بشروط قاسية وأشار إليها أحمد الشريف الزهار في مذكراته بقوله: "فلما كانت سنة 1199ه، أتى الأصبانيول للصلح، وأتوا معهم بالأسارى الذين عندهم، وأبدلوهم بالنصارى الأسرى، أما الأسرى الباقين من الأصبانيول فدفع عنهم ألف دورو على الرأس، وكذلك دفع لأهل البلاد قيمة الأسرى الذين بأيديهم الف دورو لكل رأس وحملوا الأسارى ووقع بينهم الصلح على مائة سنة".[3]

د- افتداء الأسرى في المعاهدات الجزائرية البرتغالية:

ورثت البرتغال نفس الحساسيات الإسبانية ضد الجزائر، وكثرت مبادراته بحبك المؤامرات ضد الجزائر، حيث شارك في عقد حلف ثلاثي برتغالي بريطاني وإسباني، في أفريل1791 ضد الجزائر بقصد أن يفرض على داي الجزائر عقد معاهدة سلم دائمة معه[4]، وقد عقدت الجزائر مع البرتغال أربع معاهدات عبارة عن فترات هدنة مع الملكة ماريا الأولى:

- معاهدة 1785 مع الداي عثمان (1466-1791).
- معاهد 17 سبتمبر 1793 مع حسين داي (1791-1798).
- معاهدة السلم 28 سبتمبر 1975 مع حسين داي.

---

(1) مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص169.

(2) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص509.

(3) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص34.

(4) مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص88-91.

- معاهدة السلم 14 يوليو 1813 مع الحاج علي داي (1809-1815).[1]

التّي ذكرها الزهار بقوله: "في سنة 1227ه تمكن البرتغال من عقد الصلح مع الجزائر بعد أن توسطت له الوسائط ودفع مليوني ونصف ثمن الصلح، وافتدى جميع أسراه الذين من جنسه بألف دورو لكل واحد".[2]

كان بعض الجزائريين يرفضون تبادل الأرقاء واحد بواحد، وأصروا على أنّ الشخص الذّي اشترى الرقيق يجب أن يكون له الحق في بيعه بأسعار السوق بدل بيعه بالثمن الأصلي، وكانت الأسعار ترتفع في كل وقت يقع فيه الحديث عن تبادل الأسرى، وعليه فكلا الطرفين يتحملان مسؤولية الإخلال ببنود المعاهدات التّي تنص على تسوية قضية الأسرى ومن ثم الاعتماد على ميكانيزماتأخرى.[3]

أرقت مسألة افتداء الأسرى الدول الأوروبية (فرنسا، إنجلترا، إسبانيا، البرتغال وغيرها) واستنفذوا كل وسائلهم للقضاء عليها عن آخرها، لكنها لم تُصِغْ بنود أية معاهدة حلا نهائيا لها.

وعليه وجدت طرق أخرى تكفلت بعملية افتداء الأسرى وتحريرهم.

2- الحملات البحرية:

لعبت الحملات البحرية دورا كبيرا في عملية تحرير الأسرى، حيث أكدت لنا بعض الدراسات أنّ 70% من الأسرى تم افتداؤهم بين سنتي 1572-1574 عن طريق الحملات[4]، كما قامت الحملة الإسبانية بقيادة أندريا دوريا في 1531 من تحرير ما لا يقل عن 800 أسير مسيحي.[5]

---

(1) حفيظة خشمون، مهام مفتدي الأسرى، المرجع السابق، ص28.

(2) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص110.

(3) حفيظة خشمون، المهمة السياسية والعلمية، المرجع السابق، ص50.

(4) بلقاسم قرباش، الأسرى الاوربيون، المرجع السابق، ص196.

(5) Diego de Heado, Histoire de Pachad Alger, Traduit de L'espagnol Por de Grammont, Edituit Grand Alger Vivre Alger, 2004,p53.

كانت السفن الجزائرية الحربية تستخدم مجذفين مسيحيين على متنها، ما يعني سقوطها في يد الدول الأوروبية، هو حصول الأسرى المسيحيين على حرتهم، ففي أوت 1670 هاجم الأسطول الإنجليزي مجموعة من السفن الجزائرية، تمكن خلالها الأسرى المتواجدون على متنها من الاستيلاء عليها وتقييد طاقمها أي تحرير أنفسهم، وفي سنة 1679 استولى الإنجليز على سفينة جزائرية، وحرروا 50 مسيحيا، نصفهم إنجليز.

في ماي 1683 أجبر القصف الفرنسي الجزائريين على تحرير 142 أسير مع وعود بتحرير الباقين، بعد جمعهم من المناطق الداخلية[1]، كما كان من نتائج حملة اللورد إكسموث الإنجليزية سنة 1816 إبرام معاهدة نصت في بندها الأول على حرية جميع الأسرى المسيحيين بدون دفع فدية.[2]

رابعا: دور القناصل والتجار اليهود في افتداء الأسرى

وجدت عدة طرق ساهمت في تحرير الأسرى، ومن بينها إرسال تجار وقناصل إلى شمال إفريقيا من أجل التفاوض، أو عقد معاهدات صلح وغيرها، لتسهيل هذه العملية، حيث لعبت الوساطات دورا كبيرا في تحرير أسرى دول شمال أوروبا، وبعض الدول كانت في حالة حرب مع الجزائر كإسبانيا والبرتغال.[3]

1- دور القناصل في افتداء الأسرى:

كانت مسألة افتداء الأسرى الشغل الشاغل للقناصل، ويتجلى ذلك من خلال مراسلة القنصل الفرنسي في 1719، الذّي وجد نفسه في مأزق بين ضرورة حماية المصالح التجارية أو فدية الأسرى الفرنسيين، مما اضطره إلى الاقتراض من أحد اليهود وافتدائهم، كما قام بافتداء اثنان من الأسرى الإسبان، إضافة إلى الدور الذّي قام به القنصل الإنجليزي بتحرير سبعة أسرى إنجليز، كما كان للقناصل دور في تحرير بعض الأسرى

---

[1] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون، المرجع السابق، ص196.

[2] مهدي بلالي- داود بوقرة محمد، المرجع السابق، ص97.

[3] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون، المرجع السابق، ص198.

التابعين لدول أخرى غير دولهم[1]، ومن أمثلة ذلك ما قام به القنصل الهولندي في الجزائر كريستوف ماتياس في تحرير أسرى هامبورغ.[2]

أما فيما يخص تحرير الأسرى الأمريكان، فقد بدأت عن طريق المفاوضين والقناصل الأمريكان، حيث قام جوزيف دونالد سون Joseph Donald Son بمفاوضات في الجزائر سنة 1795، وتوصل إلى معاهدة سلم مع الإيالة، وتدفع الولايات المتحدة الأمريكية بموجبها 642,500 دولار كفدية لمائة أسير، وهناك نموذج آخر عن دور القنصل البندقي كبريتا Caprita الذّي حرر ثلاثون أسيرا في عام 1764.[3]

2- دور اليهود في افتداء الأسرى:

أصبحت الجزائر خلال القرن الثامن عشر، معتمدة على الكثير من اليهود من أجل استقرارها المالي، ونتيجة لذلك أصبح المستشارون اليهود يتمتعون تقريبا بحالة الوزارة السرية[4]، واختص الكثير من اليهود في الوساطة المالية خاصة فيما يتعلق بافتداء الأسرى، وقد مارسوا هذا النشاط من خلال الوساطة بين الأسير وأهله، أو إقراضه مالا يفتدي به نفسه، أو من خلال شراء الأسير وبيعه في ليفون، حيث أقاموا سجون يحبسون فيها الأسرى الذين ينتقلون م الجزائر، ولا يطلقون سراحهم إلا إذا حضرت فديتهم[5]، وكمثال على الدور الذّي لعبه اليهود في الوساطات: كلفت الحكومة السويدية سنة 1668 اليهودي أزويدا Azeweda من أمستردام، رفقة السويدي أيوساند Eosande بتحرير الأسرى السويديين المتواجدين بالجزائر.[6]

---

[1] حبيب بنور، المرجع السابق، ص45-46.

[2] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون، المرجع السابق، ص198.

[3] حبيب بنور، المرجع السابق، ص46-47.

[4] جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص168.

[5] كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة مصطفى إسطمبولي بمعسكر، 2007-2008، ص60-61.

[6] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون، المرجع السابق، ص198.

واستخدم اليهود كل الأساليب حتى الملتوية في هذا النشاط، وقد قدم لنا جون وولف مثالا عن الأسير الدكتور أندرهيل الذّي افتدى نفسه بأموال وفرها من معالجة يهودي، والذّي باعه إلى السيد توني غدرا، ومن حسن حظه وقع في يد بحارة برتغاليين أطلقوا سراحه.[1]

كما اهتموا بممارسة حرفة افتداء الأسرى وأولوه عناية خاصة لكثرة عوائده، حيث حققوا منها أموالا طائلة.[2]

3- دور التجار في الوساطة لافتداء الأسرى:

كما لعب التجار دورا رئيسيا في الوساطة لدول أوروبا لافتداء أسراهم، وكان التجار والقناصل الذين يعيشون في الجزائر يتقاضون مقابل عملهم كوكلاء لفداء الأسرى[3]، ولعلّ أشهر التجار الذين قاموا بعمليات وساطة، لعقد معاهدات سلام بين الجزائر ودول شمال أوروبا هو لوجي Lojie، ولكن تم سجنه، ولينقذ نفسه عرض خدماته على السلطات السويدية، ولما أنّها في حاجة إليه منحته الجنسية السويدية.[4]

بدأ هذا التاجر الأسكتلندي لوجي عمله عن طريق إرسال هدايا عسكرية إلى الجزائر، واستطاع عقد معاهدة صلح مع الجزائر، وأصبح المسؤول عن عقد معاهدات لصالح الدول الأوروبية ومنها الدنمارك بنفس البنود التّي وقعها السويديون، كما أكدت أحد التقارير الملكية أنّ التاجر وليام باوتلال لندي استطاع تحرير حوالي 400 أسير إنجليزي بين سنتي 1681-1687، أي حوالي ستة سنوات.[5]

وكان الهروب أحد الطرق لتحرير الأسير نفسه، فقد كانوا لدى قدوم أسطول أجنبي، يخاطرون بأرواحهم في الظلام بغية الوصول إلى السفن، وكانت السفن تستقبل

---

(1) جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص168.

(2) كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص61.

(3) جون-ب- وولف، المرجع السابق، ص217.

(4) بلقاسم قرباش، الأسرى الأوربيون، المرجع السابق، ص197.

(5) نفسه، ص197-198.

الهاربين ولا تسلمهم أبدا[1]، ولا يفرض على دولة الأسير دفع فديته، وهذا ما شجعهم على الفرار، وهذا ما نصت عليه المعاهدة الثنائية الجزائرية الإنجليزية سنة 1682 في بندها الحادي عشر، ففي سنة 1665 استطاع العديد من الأسرى الفرار نحو سفينة راسية بالميناء، رغم إجبارهم على العودة، لكن البحارة دفعوا الأسرى إلى الفرار نحو سفينة أخرى راسية بالميناء، رغم إجبارهم على العودة، لكن البحارة دفعوا أمولهم لتحريرهم.[2]

---

[1] عزيز سامع ألتر، المرجع السابق، ص416.

[2] بلقاسم قرباش، المرجع السابق، ص205-206.

المبحث الثاني: مصير الأسرى الذين لم يتم افتداؤهم

رافق مصير الأسرى بالجزائر ثلاث احتمالات: إما أن يتم افتداؤه عن طريق دولته وتنتهي معاناته، أو يموت جراء الوباء أو الضرب أو العمل الشاق، وإما يقضي بالإيالـــة جل حياته[1]، خاصة بعد اعتناقه الإسلام، فيتم عتقهم بدلا من بيعهم، وبالتصدق عليهم بدلا من استخدامهم واستغلالهم.[2]

أولا: مفهوم العتق

لغة: عتق العبد، يعتق، عتقا، وعتاقا[3]، وعتاقة أي خرج من الرق فهو عاتق وعتيـــق[4]، واعتق العبد أي حرره من عبوديته ورقه، وأعتق فهو معتق والمفعول به معتق.[5]

اصطلاحا: يعرف بأنّه تحرير المملوك وتخليصه من رق العبودية.[6]

كان العتق في الجزائر خلال العهد العثماني يتم بأشكال مختلفة وكان اوسعها انتشارا العتق بواسطة الوصية أي أن يوصي السيد بعتق عبيده بعد وفاته، وكانت تتم بطريقة جماعية أو فردية، وبلم يختص العتق لملاك العبد فقط وإنما حتى الأشخاص الذين لا يملكون العبيد يقومون بعتق العبيد، ويتم ذلك بأن يخصص جزء من تركاتهم لشراء عبد وعتقه وابتغاء وجه الله، كما وجد بعض الأشخاص كانوا يريدون لأنّ يتصدقوا على موتاهم، فيعتقون العبيد، كما أنّ هناك نوع آخر من العتق منتشر في الجزائر وسمي "التدبير" ويتم بأن يعتق السيد عبده على أن لا ينجز ذلك العتق إلا بعد موت السيد، وهو في مثل هذه الحالة مثل الوصية.[7]

---

(1) بوشيبة ذهبية، المرجع السابق، ص567.

(2) خليفة حماش، الأسرة في المدينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري بقسنطينة 2006، ص759.

(3) أحمد مختار عمر وآخرون، المرجع السابق، ص 1454.

(4) شوقي ضيف وآخرون، المرجع السابق، ص 582.

(5) أحمد مختار عمر وآخرون، المرجع السابق، ص 1454.

(6) تلالي مهدي- داود بوقرة محمد، المرجع السابق، ص 101.

(7) خليفة حماش، المرجع السابق، ص ص759-101.

ثانيا: الأعلاج في الجزائر خلال العهد العثماني

أطلق على أولئك الذين يغيرون دينهم ويعتنقون الإسلام، ومعظمهم أسرى، اسم "العلوج"[1]، وقد شهدت إيالات شمال إفريقيا بداية العهد العثماني، موجة من الهجرات للمسيحيين الأوروبيين هروبا من الأوضاع التّي كانت تشهدها أوروبا، يضاف إلى ذلك أنّه لاعتبارات متعددة، وكانوا يأتون طوعا وعمدا إلى الجزائر بقصد اعتناق الإسلام واغتنام فرصة للثراء والصعود في سلم السلطة[2]، حيث حصلوا على أرقى المناصب في النيابة، التّي كانت محضورة على العرب، والكولغولي بما فيها منصب الحاكم[3]، ففي سنة 1549 فر عدد كبير من الجنود الإسبان من ثكناتهم والتحقوا بالجزائر رغبة منهم من الإفادة من مغانم القرصنة[4]، والواقع أنّ الإسبانيين والإيطاليين اعتنقوا الإسلام طواعية أكثر من غيرهم.[5]

تزايد عدد العلوج بصورة خاصة منذ أواخر القرن السادس عشر، ويذكر هايدو أنّ العلوج كانوا سنة 1580 يؤلفون مع أولادهم أكثر من نصف سكان مدينة الجزائر[6]، وكانوا مساهمة بشرية كبيرة إلى البلاد الإسلامية، الواقعة على ضفاف البحر المتوسط[7]، وكانوا يوظفون حسب مؤهلاتهم، فمثلا كانت الدولة تحتاج كثيرا لأصحاب المواهب في المجال العسكري[8]، كما كانوا مهندسين ماهرين في بناء السفن، وعملوا مديرين للرياس الجزائريين خاصة في قيادة السفن.[9]

---

(1) محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 93.

(2) المنور مروش، المرجع السابق، ص 179.

(3) محمد خير فاري، المرجع السابق، ص 93.

(4) المنور مروش، المرجع السابق، ص 179.

(5) محمد بشي، "الأعلاج واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية 1588-1699"، جسور المعرفة، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، م6، ع1، 2020، ص614.

(6) محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 94.

(7) المنور مروش، المرجع السابق، ص 178.

(8) بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون، المرجع السابق، ص 247.

(9) خديجة حالة، المرجع السابق، ص110.

كما امتهنوا نشاطات وحرف متنوعة كالنجارة والبناء، كما كان عـــدد كبيـــر مـــن الأعلاج يشتغلون في المتاجرة بالأسرى، وكان اغلبهم بحارة وقادة عسكريين (وقـــد تـــم الطرق لدور الأعلاج في البحرية في الفصل التمهيدي)، وكانوا أغنياء، ولعـــلّ أشـــهرهم على بيتشين الذّي كان يملك سجون تضم أكثر من خمسمائة أسير.[1]

لعب الاعلاج دورا كبيرا في دفع عجلة النشاط البحري والمساهمة فـــي تطـــويره تقنيا لمعرفتهم بالملاحة الأوروبية، كما قاموا بنقل خبراتهم الأوروبية للبحرية الجزائرية.

لم يشكل الأعلاج خطرا على السلطة بل انصهروا وتصاهروا معهـــا، وبمجـــرد إسلامهم يصبحون عثمانيين[2]، وكانت العلاقة بين أفراد المجتمع عامة والعبيد مبنية على الاعتبارات الروحية، فبعد اعتناقهم الإسلام تتوقى العلاقة بين الجانبين ويجعلها تقترب من الأخوة لأنّها تصير قائمة على الدين[3]، وكثيرا ما أصبح الأطفال ورثة أسيادهم، فسلوكهم الحسن جعل أسيادهم يمنحونهم جزءا من التراث[4] وتقام احتفـــالات خاصـــة بالمســـلمين الجدد، فيتم إسلامهم أمام الحاكم ولأعضاء الديوان، ثم يطاف بهم برفقـــة الجنـــود علـــى حصان مزين مع عزف موسيقى عسكرية، وينخرط أغلبهم في سلك الجندية ويقيد اسمهم ضمن السجلات بالعسكرية ويشاركون في غنائم البحر، هذا في حالة اختيـــاره للإســـلام طواعية، أما من يكرهون على الإسلام فلا يحتفل بهم لكنهم يتمتعون بحقوق الجندية.[5]

وقد تزايد عدد الأعلاج المتحولين من المسيحية إلى الإسلام خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، رغم الحملة الدعائية الأوروبية على الإسلام، التّي اعتبرت أنّ العلج اعتنق الإسلام قصرا وبالقوة، فقط من أجل نزواته، ومن أجل الثروة والمناصب[6]، وألف

---

[1] بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون، المرجع السابق، ص ص246-247.

[2] خديجة حالة، المرجع السابق، ص15.

[3] خليفة حماش، المرجع السابق، ص 758.

[4] محمد بستي، المرجع السابق، ص 614.

[5] خديجة حالة، المرجع السابق، ص 14.

[6] محمد بستي، المرجع السابق، ص 617.

آلاف من الأعمال الغربية التّي تقزم دور المعتنق للإسلام وكتب تظهر همجيته[1]، إلا أنّ هناك الكثير من الأدلة التّي أثبتت أنّ الأعلاج اعتنقوا الإسلام عن طيب خـــاطر، وعـــن اقتناع دون أن يجبرهم أحد، وكانوا شخصيات محترمة مستعدين للـــدفاع عـــن الإســـلام والموت في سبيله[2]، ومن المؤكد أنّ الأسير عند دخوله الإسلام كان يحترم ويعامل مثـــل غيره من المسلمين، وكان لهم الحظ الأوفر من اعتلاء مناصب الدولة، وليس كل مسيحي يعتنق الإسلام يصبح حرا، وإنما قد يحصل على بعض الامتيازات، يقل الجهـــد، ويتمتـــع بمزيد من الحرية.[3]

في أواخر العهد العثماني لم يعد الأعلاج يشكلون عنصـــرا هامـــا فـــي التركيبـــة السكانية، إذ انخفض عددهم وتأثروا بتراجع التجنيد سواء في الأوجاق أو البحرية، وفقدوا نفوذهم على مستوى الإدارة المركزية.[4]

---

(1) بلقاسم قرباش، "اعتناق الإسلام في الأدبيات الإنجليزية الحديثة 1595-1750م"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد معمري، ع45، 2016، ص14.

(2) محمد بستي، المرجع السابق، ص 617.

(3) بلقاسم قرباش، الأسرى الأوروبيون، المرجع السابق، ص 246.

(4) عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص 19.

الخاتمة

من خلال تتبعي لموضوع "افتداء الأسرى الأوربيين في الجزائر خلال العهد العثماني"، مكنني من الوصول إلى مجموعة من النتائج يمكنني الوقوف عند أهمها:

- ارتكز النشاط البحري الجزائري على أعمال الجهاد البحري أو ما يعرف بالقرصنة، الذّي جاء كرد فعل على الهجومات والغارات الأوروبية على السواحل الجزائرية، والذّي تطور ليصبح مهنة للبحارة الجزائريين وما ترتب عنه من أسر أعداد كبيرة من الأوربيين.
- كان لنظام الأسر والافتداء الأثر الكبير في اقتصاد إيالة الجزائر لما كانت تدره من أموال ومداخيل لخزينة الدولة.
- كان الوضع العام للأسرى الأوربيين بإيالة الجزائر يختلف من أسير إلى آخر، إلا أنّ وضعهم كان أحسن من الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية، فقد عوملوا معاملة حسنة، وحظي بعضهم بتقلد بعض الوظائف المرموقة في الدولة، وخصص لهم أماكن خاصة لإقامتهم، ولهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وتلقيهم الرعاية الصحية.
- لم تكن عملية افتداء الأسرى الأوربيين في الجزائر بالعملية السهلة، فقد كانت تتم عبر العديد من المراحل والطقوس انطلاقا من عملية جمع الأموال في مختلف المقاطعات الأوروبية إلى تحرير الأسير وإرجاعه إلى أهله.
- كانت مبالغ الافتداء متفاوتة وتتحكم فيها عدة عوامل كالظروف الخارجية المحيطة أو نشاط البحرية الجزائرية إضافة إلى تأثير الأوبئة والمجاعات، كما كانت تلحق بها تكاليف إضافية التّي تمثل حقوق إضافية تستفيد منها الدولة.
- لعبت المنظمات الدينية دورا كبيرا في تحرير الأسرى المسيحيين على الرغم من الصعوبات التّي واجهتها لكنها عملت على تحرير أكبر عدد ممكن من الأسرى في الجزائر، إضافة إلى نجاح الكثير من الأسرى في افتداء لأنفسهم ما يدل على الحرية التّي عاشوها في الجزائر.
- تأثير مسألة افتداء الأسرى على العلاقات الدولية بين إيالة الجزائر وبعض الدول الأوروبية، حيث سيطرت هذه القضية على أغلب بنود معاهدات السلم التّي عقد بينهما،

وغالبا ما نتج عنها إطلاق جماعي للأسرى، كما ساهمت الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية في تحرير الكثير من الأسرى وبالتالي ينخفض عددهم.

- اتخذت عملية افتداء الأسرى عدة أشكال وساهمت فيها مختلف الأطراف والوسائط كاليهود والقناصل الذين لعبوا دورا كبيرا في الوساطة لتحرير الأسرى وتحقيق أموال طائلة من خلال أعمالهم.

لعب الأعلاج دورا كبيرا في نشاط البحرية الجزائرية وتطويره عبر إدخال تقنيات جديدة، بالإضافة إلى تأثيرهم وتأثرهم في المجتمع الجزائري بصفة فعالة.

قائمة

المصادروالمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

I- المصادر:

1) بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974

2) بن عثمان حمدان خوجة، المرآة، تق: تح: تح: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.

3) الزهار أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1754-1830)، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

4) شالروليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر، تع: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982

5) كاتكارث جيمس ليندر، مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

6) مؤلف مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010.

7) هابنسترايت ج. أو. ، رحلة الألماني ج. أو. هانسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145-1732م)، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.

- **المصادر الأجنبية:**

1) Diego de Headо, Histoire de Pachad Alger, Traduit de L'espagnol Por de Grammont, Edituit Grand Alger Vivre Alger, 2004

2) Laugier de tassy, Histoire de zoyaumel'alger, chez Henri de sauzet, 1837.

3) Venture de paradis, alger au XVI^{éme}siéel, éditinbouslama, Tunis, 1980.

II- المراجع:

1) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989

2) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.

3) أوزغلة محمد عبد الكريم، شهادات الأسر ومشاهد الكتابة ميغل دي سيرفانتس في الجزائر 1575-1580، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012

4) إيشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، تر: جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007

5) براهمي نصر الدين، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، تر: علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2010.

6) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997

7) بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

8) تابليت علي، بحوث في تاريخ الجزائر- الفترة العثمانية، ج1، منشورات تالة، الجزائر، 2014

9) التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربيّة، لبنان، 1989

10) جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس- الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، محمد مزالي- البشير سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.

11) حامد عبد القادر- محمد علي نجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، 2001.

12) حليمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها، ط1، دار الفكر الاسلامي، الجزائر، 1972

13) درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

14) الزحيلي وهبة، آثار الحرب دراسة فقهية مقارنة، ط5، دار الفكر، دمشق، 2013

15) سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2017

16) ستيفن جيمس ولصن، الأسرى الأمريكان في الجزائر (1795-1796م)، تر: علي تابلت، منشورات ثالة، 2007.

17) سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

18) سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية- دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.

19) شوفاليه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدنية الجزائر (1541/1510)، تر: حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

20) عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط3، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012

21) عميراوي حميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2003.

22) غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر إبان العهد العثماني 1700-1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 2003

23) فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، مدرسة تاريخ شمال إفريقية الحديث، جامعة دمشق، 1969

24) قرباش بلقاسم، "اعتناق الإسلام في الأدبيات الإنجليزية الحديثة 1595-1750م"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد معمري، ع45، 2016،

25) قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007

26) المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.

27) محرز أمين، الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671)، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

28) المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

29) مروش المنور، دارسات عن الجزائر في العهد العثماني- القرصنة الأساطير والواقع، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

30) نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ط1، ج1، دار البعث، الجزائر، 1985

31) وولف- ب جون، الجزائر وأوروبا (1500-1830)، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009.

III- الرسائل الجامعية:

1) بن سعيدان محمد، التطورات السياسية والاقتصادية لإيالة الجزائر خلال القرن 11ه/17م، أطروحة دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي ألياس بسيدي بلعباس، 2018-2019/

2) بن سعيدان محمد، علاقات الجزائر مع فرنسا (1659-1756)، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المركز الجامعي بغرداية، 2012/2011.

3) بن صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة مصطفى إسطمبولي بمعسكر، 2007-2008

4) بنور حبيب، دور القنصليات الأجنبية في خدمة قضايا الأسرى في الجزائر 1789-1830، مذكرة ماجستير، تاريخ الديبلوماسية والعلاقات الدولية خلال القرنين 19و20م، جامعة جيلالي اليابس بسيدي بلعباس، 2014-2015

5) تلالي مهدي- داود بوقرة محمد، افتداء الأسرى الأوربيون في إيالة الجزائر من خلال المصادر الأجنبية، مذكرة لنيل شهادة التعليم المتوسط في التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار بقسنطينة، 2018-2019

6) حالة خديجة، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني (1700-1830)، مذكرة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية بأدرار، 2013/2012

7) حماش خليفة، الأسرة في المدينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري بقسنطينة، 2006

8) خشمون حفيظة، المهمة السياسية والعلمية الفرنسية بالجزائر في القرن 18م من خلال نماذج "لوجي دو طاسي، فونتير دو بارادي، باصونال وديفونتين"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة عبد الحميد المهري بقسنطينة، 2020-2021

9) خشمون حفيظة، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير، التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، جامعة منتوري بقسنطينة، 2007/2006.

10) زيتوني إسحاق، البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519-1800)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2013/2012.

11) شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2005/2004.

12) غطاس عائشة، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1984-1985

13) قرباش بلقاسم، الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1611-1830م) أطروحة دكتوراه، في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة مصطفى اصطنبولي بمعسكر، 2016/2015

14) القشاعي فلة موساوي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871)، أطروحة دكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004

15) محمة عائشة، الأسرى الأوربيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، 2012/2011.

III- الدوريات:

1) بشي محمد، "الأعلاج واعتناقهم الإسلام من خلال الكتابات الأوروبية 1588-1699"، جسور المعرفة، جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة، م6، ع1، 2020

2) بن جبور محمد، "البحرية الجزائرية أواخر العهد العثماني"، مجلة عصور، جامعة مصطفى إصطنبولي بمعسكر، ع12، 15/14/13، 2009/2008.

3) زيتوني حمزة إسحاق، "تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية"، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف، ع9، 2018.

4) شرفة حسن، "هدي النبي (ث) في التعامل مع الأسرى"، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عباس لغرور بخنشلة، ع8، ج1، 2017.

5) صفاح بوعلام- دوحة عبد القادر: "العائدات المالية لافتداء الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة عصور جديدة، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة، مج:11، ه:2، 2021.

6) العبيدي نوري صباح هادي- توفيق دحماني، "إيالة الجزائر العثمانية بين موارد البحر والضرائب"، مجلة الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، د.م، مج4، ع:10، 2017.

7) عطاري يوسف محمد، "معاملة الأسرى في ضوء الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج8، ع1، 2012.

8) قرباش بلقاسم، "بانياوات الأسرى المسيحيين في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)"، مجلة الدراسات التاريخية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، ع1، 2013.

9) كنبوة هبة-شافو رضوان، "مساهمة البحرية الجزائرية في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر 17م"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمه لخضر، الوادي، مج12، ع2، 2021.

10) المبروك محمود صالح سليمان، "جهود الأوربيين في تحرير أسراهم بإيالة طرابلس الغرب 1551-1832"، مجلة كلية الآداب، جامعة محمد المختار بطبرق، ع37، 2014.

11) هلايلي حنيفي، "القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، ع 04، 2003.

V- القواميس والموسوعات:

1) صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، عبد الرزاق محمد حسين بركات، س3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.

2) ضيف شوقي وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

3) الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005.

4) مختار أحمد عمر وآخرون، معجم اللغة العربيّة المعاصرة، مج:1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2008.

الملاحـــق

الملحق رقم 01 العقوبات المطبقة على الأسرى المسيحيين في الجزائر كما صورها الأب دان

ينظر: حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص165.

الملحق رقم 02: سجن الجزائر

ينظر: نصر الدين براهمي، تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني، تر: عليتابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2010، ص88.

الملحق رقم 03 :أشهر عمليات الافتداء التي قام بها آباء الثالوث المقدس في الجزائر

أشهر عمليات الافتداء التي قام بها آباء الثالوث المقدس « Les pères Trinitaires » في الجزائر		
السنوات	أسماء الآباء	عدد الأسرى المفتديين
1545 م	- الأب سياستيان دي بور: « P. Sébastien Du port »	200 أسير
1580 م	- الأب جون جيل: « Jean Gil » - و الأب أنطونيو دو لا بيلا: « Antonio de la Bella »	186 أسير رجال و نساء من بينهم الروائي الإسباني المشهور ميكايل سرفنتس، صاحب رواية "دون كيشوت"
1635 م	- الأب دان: « P. pierre Dan »	42 أسير من مختلف الجنسيات
1643 م	- الأب لوسيان هيرو: « P. Lucien Herault »	48 أسير من جنسية فرنسية
1645 م	- الأب لوسيان هيرو: « P. Lucien Herault »	40 أسير كلهم اتجهوا إلى باريس
1662 م	- مجموعة من الآباء الترينيتانيين القادمين من أوروبا	286 أغلبهم أسبان و جنويين (13 منهم رجال و 19 منهم نساء)
1725 م	- الأب دو لافاي: « P. Jean de la Faye » - الأب دونيس ماكار: « P. Denis Mackar » - أوغستين دارسيساس: « P. Augustin d'Arcisas » - الأب هنري لو روا: « P. Henry le Roi »	46 أسير من مختلف الجنسيات
1740 م	- مجموعة من آباء الثالوث المقدس بمقاطعة النمسا التابعة للقديس "جوزيف" « Saint Joseph »	330 أسير

ينظر: حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص75.

الملحق رقم 04 أشهر عمليات الافتداء التي قام بها آباء الرحمة في الجزائر

أشهر عمليات الافتداء التي قام بها آباء الرحمة « Père Mercedaires » في الجزائر		
السنوات	أسماء الآباء	عدد الأسرى المفتديين
1655 م	– مجموعة من آباء تنظيم الرحمة الفرنسيين	18 أسير (أغلبهم من جنسية فرنسية)
1662 م	– الأب أوفري: « P. Auvry »	100 أسير
1750 م	– مجموعة من آباء تنظيم الرحمة	66 أسير

ينظر: حفيظة خشمون، المرجع السابق، ص76.

الملحق رقم 05 جدول لأهم الأسماء اليهودية التي مارست عملية افتداء الأسرى

الشركة	الفترة الزمنية	عدد الأسرى الذين تم افتداؤهم
إسحاق سليمان	1717م – 1722م	104
نفتالي بوشناق (الجد)	1723م – 1738م	26
إبراهيم بوشناق	1724م 1733م	10
دافيد كوهين سلمون	1730م – 1741م	103
يعقوب رافاييل بوشارة	1738م – 1747م	133
يعقوب بوشارة	1738م – 1753م	04

ينظر: كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص62.

وثيقة إيداع مذكرة الماستر

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة إيداع مذكرة ماستر

الموضوع: افتداء الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال العهد العثماني

إعداد الطلبة:

-1 طاهري إيمان رقم التسجيل: 17173509339

-2 .... رقم التسجيل: ....

القسم: التاريخ الشعبة: التاريخ التخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: د/ بن رمال محمد الرتبة: أستاذ محاضر أ

أقر بأنني تابعت العمل المذكورأعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

موافقة وامضاء المشرف(ة): موافق

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

قزولة عبد المالك

Web site : http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/ الموقع الالكتروني:
Face book : https://www.facebook.com/FshsUinvMsila/ الفايسبوك:
Tel / Fax : +213 35 35 3044

وثيقة تصريح شرفي خاص بالنزاهة العلمية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudial - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2021

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): طاهري ايمان

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 201094091

الصادرة بتاريخ : 2017/02/2022 عن دائرة : أولاد سيدي ابراهيم

المسجل بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 171735093399

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: افتداء الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال العهد العثماني

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: ....

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة..أ-ه

الفصل التمهيدي

البحرية الجزائرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن النشاط البحري الجزائري........................ 08

أولا: ظروف وعوامل نشأة الأسطول الجزائري وتطوره 08

ثانيا: النشاط البحري بين القرصنة والجهاد البحري.................................. 12

المبحث الثاني: قوة البحرية الجزائرية 16

أولا: عوامل قوة البحرية الجزائرية 16

ثانيا: مظاهر قوة البحرية الجزائرية.. 18

الفصل الأول

الأسرى الأوروبيون في الجزائر وأوضاعهم فيها

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن الأسرى في الجزائر 26

أولا: التعريف بمصطلحي: "افتداء،" "الأسر"...................................... 26

ثانيا- ظروف تواجد الأسرى الأوربيون في الجزائر 28

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية للأسرى الأوربيون بالجزائر 30

أولا- معاملة الأسرى الأوربيون وعقاباتهم.. 30

ثانيا: أماكن إقامة الأسرى الأوربيون وأعمالهم 36

ثالثا: الحالة الصحية للأسرى وألبستهم وطعامهم.................................... 42

الفصل الثاني

تنظيم عملية افتداء الأسرى الأوروبيون

المبحث الأول: إجراءات افتداء الأسرى الأوروبيون 49

أولا- جمع أموال الفداء والإبحار نحو الجزائر 49
ثانيا- التفاوض حول عملية افتداء الأسرى 51
ثالثا- قيمة الفدية ولواحقها 52
المبحث الثاني: ظروف وصعوبات الافتداء وشروطه 56
أولا- ظروف وصعوبات الفداء 56
ثانيا- شروط الافتداء 58

الفصل الثالث

أساليب وطرق افتداء الأسرى الأوروبيون

المبحث الأول: طرق افتداء الأسرى الأوربيون 62
أولا: الافتداء الذاتي..... 62
ثانيا: الافتداء عن طريق منظمات الفدية الدينية..... 63
ثالثا: الافتداء عن طريق المعاهدات والحملات البحرية 68
رابعا: دور القناصل والتجار اليهود في افتداء الأسرى..... 74
المبحث الثاني: مصير الأسرى الذين لم يتم افتداؤهم..... 78
أولا: مفهوم العتق..... 78
ثانيا: الأعلاج في الجزائر خلال العهد العثماني..... 79
خاتمة..... 83
قائمة المصادر والمرجع 86
الملاحق..... 95
فهرس المحتويات
ملخص الدراسة.

ملخص

لعب الأسطول البحري لايالة الجزائر خلال القرن السادس عشر دورا هاما في البحر الأبيض المتوسط، وأعتبر نشاطه جهاد بحري رد فعل على الغارات والحملات الصليبية والذي وصف بالقرصنة، ونتج عنه أسر أعداد كبيرة من الأسرى المسيحيين في الجزائر، الذين خصصت لهم أسواق لبيعهم وأماكن خاصة لإقامتهم من سجون ومستشفيات خاصة وأماكن للعبادة كما تلقوا معاملة حسنة من طرف السلطة والمجتمع مقارنة بالأسرى المسلمين في الدول الأوربية، وقد سعت هذه الدول والمنظمات الدينية المسيحية جاهدة لتحرير أسراها بمختلف الوسائل والطرق كما كانت عملية الافتداء منظمة وتتم عبر مراحل وطقوس الى غاية تحرير الأسير، والهدف من هذه العملية هو تحصيل أموال عالية لإثراء خزينة الدولة وساهمت فيها مختلف الأطراف كرجال الدين، الملوك وأقارب الأسير، ومختلف الوسائط كاليهود والقناصل والتجار وكان لهم دور كبير في تحرير الأسرى الأوربيون.كما كان للمعاهدات والحملات البحرية دور في تحرير اغلب أسراهم، وقد تأثر بعض الأسرى بالمجتمع الجزائري واعتنقوا الإسلام ولقبوا بالاعلاج وأصبحوا يؤثروا ويتأثروا بالمجتمع بصورة فاعلة.

الكلمات المفتاحية:الأسرى، الافتداء، الفدية، العهد العثماني، الأسطول البحري.

Résumé

During the sixteenth century, Algeria's navy played an important role in the Mediterranean. His activity was seen as a reaction to the raids and crusades, which he described as piracy. It resulted in the families of large numbers of Christian prisoners in Algeria. Those who were allocated markets to sell them and special places for their stay from prisons, private hospitals and places of worship. They received good treatment from the authorities and society compared to Muslim prisoners in European countries. These countries and Christian religious organizations have endeavored to free their families in various ways. The aim of this process is to collect high funds to enrich the country's treasury, to which various parties, such as men of blood, kings, relatives of captives, and various media, such as Jews, consuls and traders, have contributed significantly to the liberation of European prisoners. Maritime treaties and campaigns also played a role in the liberation of most of their prisoners. Some prisoners were influenced by Algerian society and embraced Islam. They were nicknamed treatment and became influenced and influenced by society effectively.

Keywords: *captives, redemption, ransom, the Ottoman era, Hels Towa.*